المقتبس

غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

ابن الرومية

من جملة تلامذة ابن حزم الاندلسي أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الروميـة الأموي الاشبيلي المتوفى سـنة ٦٣٩ هـ وهو الذي رحل الى الشرق لمعرفة نباتاته ، وأخذ علم الحديث عن ثقاته ، ونشر تآليف استاذه ابن حزم ولولاه لتناولتها يد الضياع خصوصاً بعد ان أصابت الكتب في بلاد الاندلس ما أصابها من طوارق الحدثان

جاء في الاحاطة انه كان غرة جنسـه إماماً في الحديث حافظاً نافداً ، ذاكراً تواريخ المحدثين وانسابهم ووالدهم ووفياتهم ، وتعديلهم وتجريحهم ، عجيبة نوع الانسان في عصره وما قبـله وما بعده في معرفة عـلم النبات ، وتمييز العشب وتحليلها، واثبات اعيانها، على اختلاف اطوار منابتها، بمشرق أو

مغرب ، حساً ومشاهدة وتحقيقاً ، لامدافع له في ذلك ولا منازع ، حجة لاترد ولا تدفع ، اليه يسلم في ذلك ويرجع ، قام على الضنتين ـ الحديث والنبات ـ لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات اذ موادهما الرحلة والتقييد، وتصحيح الاصول ، وتحقيق المشكلات اللفظية ، وحفظ الاديان والابدان .

ولما وصل على رواية ابن أبي أصيبعة سنة ثلاث عشرة وستمائة الى ديارمصر وأقام بمصر والشام والعراق نحوسنتين وانتفع الناس به واسمع الحديث وعاين نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب وشاهد اشخاصها في منابتها ، ونظرها في مواضعها ، حل في الاسكندرية فسمع به السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب وبلغه فضله ، وجودة معرفته بالنبات ، وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة فاستدعاه من الاسكندرية وتلقاه وأكرمه ورسم بان يقرر له جامكية وجراية ويكون مقيماً عنده فلم يفعل واعتذر بالحج

ولهذا النباتي تآليف حسنة في الطب « وله معرفة بأشخاص الادوية وقواها ومنافعها واختلاف أوصافها وتباين مواطنها » وبالجملة فلم يكن يتحرج من الجمع بين علوم الدنيا والآخرة . واشتهر فضله حتى دعاه أبو بكر بن أيوب الى المقام في بلاده ولا خير في أمة لاتفاخر برجالها ولا تحرص على تكثير سوادهم

مكتبة الاسكندرية

زعم بعض تأخري المؤرخين ان عمر بن الخطاب (رض) أوعز الى عمرو بن العاص لما فتح المسلمون مصر ان يحرق مكتبة الاسكندرية وكان فيها مؤلفات الحكماء الاقدمين، فانقطع بذلك سند العلوم والصنائع والاختراعات التي عرفت وبعبارة ثانية محيت المدنية القديمة وعاد العالم في جهالة جهلاء . مسألة شغلت بال الباحثين والمفكرين . وقد الف احد افاضل الاستانة «محمد منصور» كتاباً بالتركية سماه مكتبة الاسكندرية وذلك عقيب مناقشة دارت بينه وبين بعض كتاب تلك العاصمة في احدى المجلات العلمية التركية منذ نحو اربعين سنة . فتصفحت الكتاب وعربت بعض صفحاته المتعلقة بحريق هذه المكتبة وهاك ما نقلته ملخصاً :

هلك اسكندر المكدوني فانقسمت مملكته بين قواده واستولى على مصر بطليموس سوتير وكان محباً للعلوم والمعارف واذ رأى تفرق حكماء اليونان ايدي سبا بما دهم بلادهم من زوال العلم وعفاء المدنية دعاهم الى حماه فاتوه ومعهم بقايا من الكتب المنوعة فاحسن وفادتهم ووفادتها واقام لحفظ هذه المصنفات مكتبة بالقرب من معبد السرابيوم (١) علوها مئة

---

(١) السرابيوم اسم اطلقه اليونان على معبد اوزورهابي اوابيس المتوفى وهو الثور الذي عبده قدماء المصريين واطلقوه على معبد ابيس في منفيس وقد اكتشف ماريت الاثري الفرنسوي سنة ١٨٥٠ بالقرب من سقارة بقايا المعبد والاسراب التي كان فيها ابيس ثم اطلق اليونان هذا الاسم على جميع المعابد التي كان يعبد فيها الثور سيرابيس او ابيس وكان لكثير من المدن الرومية مكان يدعونه السرابيوم مثل رومية وآثينة وبوزول وغيرها وسرابيوم الاسكندرية هذا اشتهرها وفيه كانت المكتبة التي اختلف فيمن ابادها

قدم وهي قائمة على جبل صناعي وسط مدينة الاسكندرية . وروى بعض المؤرخين ان هذا الملك احدث في قصره مكتبة اخرى جعل في الاولى اربعمائة الف مجلد وفي الثانية ثلثمائة الف

ولقد ظلت مكتبة الاسكندرية بعناية بطليموس واخلافه مرجع اهل العلم وكهف . بغدة المعارف الى سنة سبع واربعين ق . م وقد أبدى مالتابرون في جغرافيته والمجمع العلمي الذي ألف في فرنسا للبحث عن الابنية القديمة الدائرة وجغا الديني في تاريخه العام وسائر كتب تواريخ رومية الاسف الكثير لحريق هذه المكتبة برمتها عقيب فتنة نشأت من افتتان احد قياصرة رومية بمليكة مصر كليوباطرة المشهورة بجمالها وذلك لما استحال حكم رومية الى الملوكية وأخذ القيصر يطارد عدوه القائد بومبيس حتى بلغ الاسكندرية وهنا جرى بينه وبين كليوباطرة امور ادت الى إحراق تلك الكتب المنوعة التي بذل النفس والنفيس في استجلابها منذ تأسيس المكتبة الى ان نعق في ارجائها غراب الدمار .

واختلفت روايات المؤرخين في عدد اسفار هذه المكتبة واكد بعضهم ان الكتب التي أثرت عن حكماء اليونان وحدهم تبلغ سبعة آلاف مجلد وهو عدد فيه نظر اذا احصينا ماتنتجه كل مملكة على حدتها في اوربا لهذا العهد من المصنفات على انتشار الطبع والورق وتوفر اسباب التأليف توفراً لم يسبق له نظير في تاريخ العالم . وان معظم حكماء اليونان اشتهروا عند بعض المؤرخين على حين لم يؤثر عنهم كتاب ما . وعليه فبعيد عن التصديق مايدعى بوجود مليون كتاب في مكتبة الاسكندرية . ولو كان الامر على ما ذكروا لاقتضى لكل حكيم من حكمائهم ان يؤلف

ثلاثين أو أربعين كتاباً وهو محال .

عرفت كليوباطرة ان لها يداً في إحراق مكتبة الاسكندرية فاعادت بناء المكتبة تكفيراً عن سيئاتها وجعلت في هذه الخزانة مكتبة برغمة التي اهديت اليها وكان فيها مئتا الف مجلد في رواية . وبعد قليل استولى الرومان على مصر فاشتد ضغطهم على أهلها جرياً على عاداتهم القديمة فسقط عمران الاسكندرية في أوجز مدة ثم اشتغل أكثر الاهلين بحل المسائل الدقيقة من الدين المسيحي الذي كان ظهر في جوار تلك البلاد . واستحالت الحال فبطلت العلوم وانقطع تدريسها في الاسكندرية بالمرة .

واحتفظت دولة الرومان بالعاديات والمصانع التي وجدت في البلاد المتغلبة عليها في أوربا وآسيا وإفريقية الى سنة ٣٩٠ للميلاد أي قبل الهجرة بثثني سنة تقريباً . بيد ان تيودوس أحد قياصرة الرومان ارتأى لجهله وتعصبه ان لا يبقى في المملكة الرومانية غير الدين المسيحي وان تلغى سائر الاديان والمذاهب فاستولى على المعابد وضبط عقاراتها ونفائسها وقامت قيامة الرهبان وحملوا الحملات المنكرة على المعابد والمصانع وهدموها وعاثوا بما فيها جملة .

وفي خلال تلك المدة قام تيوفيل رئيس اساقفة الاسكندرية في جملة من رهبان تلك الناحية وخرب المعبد البديع المعروف بباكوس ثم هدم معبد السرابيوم بعد مجادلات امتدت لألاؤها وفتن شعواء طالت برحاؤها . وهذا المعبد الذي يُعد من بدائع الصنائع وله المقام الأول بين مصانع المملكة الرومانية يماثل بناية الكابتول في رومية . وهدم ما كان في جوار المعبد الآنف ذكره من المكتبة التي أنشئت للمرة الثانية على ما تقدم

وقد تلف في هذه المرة جميع كتبها . ثم أنشئت بيعة في محل هذا المعبد ولكن لم تشيد المكتبة قط ولم يبق لها اسم ولا رسم .

واشتد ضغط الامبراطور جوستنيانوس على عبدة الاوثان وعطل بيوت العلم وقضى باقفال المدرسة التي كان يدرس فيها ديوجنس وهرمياس واتاليوس وبرسيان وداماسقوس وايسيدور وغيرهم من الفلاسفة لانهم لم يرجعوا عن اعتقاد القدماء وينتحلوا النصرانية حتى اضطروا فراراً بأنفسهم عن مواطن المملكة ان يرحلوا الى فارس ولما ارادوا الرجوع الى بلادهم توسط في أمرهم انوشروان ملك الفرس ومن الشروط التي عقدها مع قيصر اليونان ان لايمس هؤلاء الفلاسفة بسوء وان يكونوا احراراً في اعتقادهم على ان مدرستهم عطلت وخربت مع غيرها من مدارس آثينة .

علم بهذا انه كان للامبراطورين تيودوس وجوستنيانوس يد طولى في إتلاف آثار أهل العلم ومصانعهم قديمها وحديثها رجاء بث دعوة النصرانية فدثرت المدنية التي قامت بحسنات الاجيال السالفة والامم الغابرة وذلك بأعمال هذين العاهلين وبما أبداه الرهبان والرومان من ضروب العدوان .

ثم أفاض المؤلف في حملة أهل البندقية والفرنجة على القسطنطينية سنة ١٢٠٢ م وحرقهم لها ثلاث مرات بحيث دثر ثلثاها وأحرقت أعلاق الكتب التي جمعت فيها منذ نحو تسعمائة سنة ولما استولى هؤلاء الفاتحون على هذه العاصمة تفرقوا في اطرافها وانشأوا يسلبون كل ماتطول اليه أيديهم من أموال الناس وعروضهم الى آخر ماقاموا به من العيث في الكنائس والبيع التي انتقدت من لسان اللهيب وعبثوا بحليها وجواهرها وخصوصاً كنيسة ايا صوفية المشهورة فقد أخذوا كل ما اتحفها به الملوك والاغنياء من

الجواهر والحلي والنفائس باعوا بعضه بيع السماح وأتلفوا الآخر كأنه لا قيمة له الى نظائر ذلك مما قاموا به من الاعمال الوحشية التي فصلها حق التفصيل المؤرخ نيكيتاس احد رجال دولة الروم .

واستفاض المؤلف فيما آل اليه أمر مكتبة الاسكندرية من الحريق بقضاء الله وقدره سنة ٤٧ ق . م وخرابها للمرة الثانية بحملات رئيس الاساقفة الاسكندري وجماعته عمداً قبل الهجرة بثني سنة وإحراق ماجمع في زهاء تسعمائة سنة منذ جعلت القسطنطينية عاصمة لدولة الرومان الى استيلاء اللاتين عليها بداعي ماحدث فيها من الفتن بين الروم واللاتين . وان ما انقذ من هذه الحرائق من الكتب أتى عليه اللاتين بجهلهم واستهزائهم بالمعارف وأهلها حتى ان مصر لما فتحها المسلمون لم يبق لمكتبة الاسكندرية فيها عين ولا أثر ولما فتحت الاستانة أيضاً لم يكن فيها عاديات ولا اعلاق بتاتاً .

وقد صرح جيبون في تاريخه على سقوط دولة الرومان بان نسبة الحريق لعمر أو لعمرو أكذوبة لفقها أبو الفرج رئيس أساقفة حلب على طائفة اليعاقبة احدى الطوائف المسيحية بعد مضي نحو ستمائة سنة من الهجرة في تاريخ له ألفه بالعربية ولما نقل ما كتبه الى اللاتينية انتشرت هذه الأغلوطة في أوربا . ومما قاله أبو الفرج ان عمر بن الخطاب أصدر أمره الى عمرو بن العاص باحراق هذه الكتب اكتفاء بما في القرآن من العلم وادعى ان هذه الكتب وزعت على اربعة آلاف حمام في الاسكندرية فظلت المواقد تحرقها حصباً ووقوداً ستة أشهر لاتحتاج الى

غير لهيب تلك الكتب لاحماء الماء (١)

قال جيبون : لايخفى على اهل البصر ان مكتبة الاسكندرية احترقت قبل الميلاد وما زعمه رئيس اساقفة حلب من ان المسلمين احرقوها لم يتعرض له مؤرخ واحد ممن ظهروا قبل ابي الفرج حتى ان افتيكيوس بطريرك الاسكندرية عند توسعه في الكلام على استيلاء المسلمين على الاسكندرية لم يذكر كلمة عن حرق عمرو بن العاص لهذه المكتبة . وبهذا علم ان هذه أسطورة ملفقة بالكذب المحض .

على ان الاسكندرية كانت من القديم مقر البطاركة ومنبعث المجادلات المملومة التي حدثت في مسألة الالوهية . فلو صح انه كان في هذه المدينة مكتبة كما زعم ابو الفرج حين فتحها واحترقت بأمر عمرو بن العاص لاستخدمت تلك المجلدات الضخمة التي ملئت بمباحث تلك المسألة المذكورة ومقالات المناقشين فيها في غير إحماء ماء الحمامات . وهب ان العرب احرقوا تلك المجلدات فقد ازالوا كثيراً من الافكار الباطلة التي الف الناس الاشتغال بها عبثاً وخدموا عالم الانسان خدمة عظيمة .

قال المؤرخ التركي بعد ان اورد هذه الجملة عن المؤرخ جيبون : من البديهي انما افترض المؤرخ المومأ اليه وقوعه وما زعمه رئيس الاساقفة

---

(١) يكفي في نقض ما بناه رئيس الاساقفة الحالي من الوهم قوله ان اربعة آلاف حمام شغلت باحراق مكتبة الاسكندرية وما اظن ان هذا العدد من الحمامات يوجد في القطر المصري والسوري ايام استبحر عمرانهما . ومن المحقق ان مدينة دمشق وهي مشهورة بكثرة مياهها وتوفر حماماتها لم يكن فيها حين زخرت بحار حضارتها ما ينيف على مئة حمام فلو فرضنا ان عمران الاسكندرية كان اربعة اضعاف عمران دمشق وهو بعيد لاقتضى على ذلك الحبر ان يحذف صفراً واحداً

المذكور من حريق عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية التي ماثلت بالمجلدات الضخمة في مباحث الالوهية أو مؤلفات الحكماء المتقدمين على فرض وقوعه فليس من العقل ولا من الحكمة ماروي في كيفية حريقها . وغير نكير ان هذه فقرة وضعت بعد لمآرب وغايات

ولو كانت عقدت النية على إحراق هذه الكتب كما ادعى رئيس الاساقفة لمطابقتها للقرآن العظيم أو لمباينتها له لاقتدر عمرو بن العاص ان يبيد هذه الكتب بحضرته جملة واحدة في يوم واحد وربما في ساعات معدودة وكان في غنى عن تسليمها لاصحاب الحمامات في الاسكندرية ولاهل هذا الثغر وكلهم من الروم يحرقونها كما يجب ويرضى بما تلهمهم اليه معرفتهم . نعم كان ابن العاص يحذو حذو مسيحي اسبانيا لما استولوا على قرطبة واحرقوا في يوم واحد زهاء مليون مجلد من مصنفات علماء المسلمين وكانت في عدة مكاتب على ماروى المؤرخ دياردو

ومن البلاهة والحماقة أن يصدق ان عمر يختار هذه الطريقة في إبادة الكتب ويدفعها الى أرباب الحمامات في الاسكندرية وينقطع عن وظيفة الجهاد المقدسة مع رجاله من المسلمين وعددهم لا يتجاوز أربعة آلاف رجل حين استيلائه على مصر لينقطعوا الى احراق كتب دونت بلغة أعجمية ويصرف في ذلك خمسة أشهر أو ستة في قمامين الحمامات مما لا يقبله العقل ولا يوافق الحكمة . واني لارباب الحمامات في الاسكندرية وهم من بني الروم ان يحتفظوا بهذه الكتب ويحرقوها في غياب المسلمين حصباً لحماماتهم فاحر عند ذلك ان ينحي باللائمة على الروم لا على المسلمين باختلاق فئة من الجهال وخصوصاً بعض أصحاب الاغراض

نقض الكاتب التركي ماأتى به بعض أرباب الاهواء وزيفه بالبرهان السديد ثم نقل ماقاله رئيس مدرسة آثينة الكلية في تاريخه العام عند كلامه على الاسكندرية من ان هذه المكتبة حرقت لدن وصول قيصر الى مصر وان مابقي من الكتب تلف قبل استيلاء المسلمين على الاسكندرية بزمن طويل وان مايحكى من ان عمرو بن العاص حرقها ان هي الا فقرة مدخولة بعد هذا . وقد عرب ماتقدم حباً باظهار حقيقة طال البحث فيها وتعارضت الآراء بأمرها والحقيقة ضالة كل باحث ومستفيد

مصر

معربة عن الفرنسية

بلادها ـ مصر عبارة عن وادي النيل وهي في مضطرب ضيق خصيب ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً ويكاد عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك سهل واسع تتخللهُ شعب النيل وترعه . فمصر كما قال هيرودتس أبو التاريخ هبة من النيل .

النيل ـ يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بصارات ثلوج بلاد الحبشة فيفيض على أراضي مصر العطشى يرتفع ثمانية أمتار وأحياناً عشرة فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كانها جزيرات ثم تنخفض المياه في أيلول (ستمبر) ويعود النهر في كانون الاول (دسمبر) الى مجراه الاصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الاءبلز وتسمى الطمي . هذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع في التربة الندية بدون حرث . فالنيل إذاً يأتي مصر بالماء والتربة واذا تحول عنها تعود

مصر كالبلاد المحيطة بها قاعاً صفصفاً ، ورمالا مجدبة ، ما أمطرتها السماء وابلا ولا رذاذاً . ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يجود به نيلهم من الخيرات الحسان وهاك نشيداً كانوا ينشدونه تعظيماً له : «سلام عليك أيها النيل أنت الذي تتجلى على هذه الارض وتأتي بسلام فتحيي موات مصر . أنت اذا انجليت تملأ الارض طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق قوته ، وكل سن ما تقضمه ، رحماك إنك تأتي بالارزق الطيبة وتنتج كل خير ومير وتنبت للبهائم مرعاها »

غنى هذه البلاد — مصر على التحقيق واحة في قفر إفريقية تنبت تربتها البر والفول والعدس وأنواع البقل . والنخيل فيها غابات وآجام . وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطعان الغنم والثيران والمعز والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع) ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لاتعهد في أوربا على ان مصر كانت آهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم

روايات هيرودتس ـ عرف اليونان مصر أحسن من معرفتهم سائر الممالك الشرقية فزارها هيرودتس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث من تاريخهم وحكايات لقنها من أدلائه . وتكلم ديودور وسترابون على مصر أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبوليون ـ دعت حملة الفرنسيس على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) الى

---

(١) في الاصل زهاء خمسة ملايين نسمة ونصف مليون

فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فهرعوا اليها يزورون الاهرام وخرائب ثيبة عن أمم ويعودون منها وقد حفل وطابهم بالصور والآثار . ولم يكن لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيروغليفي . وتوهم الناس ان كل خط من هذه الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهم شامبوليون احد علماء الفرنسيس وعمد الى طريقة أخرى وجاء أحد الضباط من رشيد بأثر ذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيروغليفية المسطورة بها مترجمة الى الرومية . وهذا الاثر يمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل شامبوليون بهذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLMIS ولدى مقابلتها باسماء ملوك أخر وكانت ايضاً محاطة بدائرة اكتشف حروف الهجاء . ولما تيسرت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت بلغة تشبه القبطية وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية ـ جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا على دراسة أحوال مصر واكتشاف جليها وخفيها وتدعى هذه الفئة من العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوربا كافة . وقد أجرى ماريت (١٨٢١ ـ ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية على نفقة خديوي مصر مايقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق . وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها بالمسيو ماسبرو .

الاكتشافات الحديثة ـ لايعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا ثمينة كخبايا مصر ودفائنها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بدور

يضعون فيها مايقتضي للميت من ضروب الامتعة والاثاث والرياش والسلاح والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق . وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بعد مضي اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثراً كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شعباً معرفتناله .

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري ـ قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أمم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي أولاها الى أربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولا الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام ـ بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث عشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أتى عليه النيل وسدل دونه حجاباً. أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدها أيضاً الى الدور القديم وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ متراً عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدرة قليلا لرفع الاحجار الى شاهق ثم خربت

التمدن المصري ـ يدل ما يستخرج من قبور تلك الاعصر من هيا كل وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدنا . فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة للميلاد حراثة الارض ونسج الثياب وتطريق المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على حين كانت الامم النبيهة وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في حالة من الهمجية مأثورة مذكورة . .

ثيبة ـ خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائبها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطيء الشمالي صف من القصور وهي لقصر والكرنك تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت كلتاهما وسط الخرائب ويجمع بينهما شارع ذو صفين من تماثيل أبي الهول وكان هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المعابد الخربة معبد عمون في الكرنك أحيط به سور محيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر (ايبوستيل) وأعظمه في العالم مئة ومتران وعمقه ٥٣ متراً وهو حجم عمود فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسمائة سنة

فرعون ـ يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على الارض ويزعمون انه كان هوروباً . وقد شوهدت صورة الملك رعمسيس الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً ولفرعون سلطة مطلقة على البشر لربوبيته فيحكم حكم المولى على كبار سادات قصره وعلى المقاتلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلتفون من حوله ويحرسونه

فيكون رئيسهم الكاهن الاعظم للرب عمون المستأثر بالطول والطرل دونه وقد يحكم باسم الملك ويخلفه في الاحايين

الرعايا — يملك مصر من أعلاها الى أسفلها الملك والكهنة والجند والموالي وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حرث الارض وعمال الملك يلاحظونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب العصي أحياناً واليك ما كتبه أحد هؤلاء الموظفين الى صديق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرث الارض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المعد لجباية عشر الغلات وثلة من العمال بعصيهم يتبعونه وزنوج ماسكون بايديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد : البدار البدار الى تسليم الحبوب . واذا لم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات يلقونه على الارض ويشدون وثاقه ويجرونه في الترعة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر — كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعدُ فرحا لا يهتم خاضعاً خانعاً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصا في هذه البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمتثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح الفرنسيس انه كان واقفاً ذات يوم أمام خرائب ثيبة فهتف قائلا : ليت شعري كيف بنوا كل هذا . فاستضحك دليله وقال ماسكا بيده مشيراً الى نخلة : « بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا مولاي انه اذا كسرت مئة ألف سعفة من سعف النخل على ظهر من اكتافهم عريانة أبدا تبنى قصور كثيرة ومعابد

اعتزال المصريين — قلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا ركوب البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحة وما اتجروا والشعوب الاخرى ولم

تمرن لهم بحرية الا على عهد الدولة السادسة والعشرين وما كانوا أمة حربية قط . ولقد قاد ملوكهم الجند في حروبهم واتخذوا القتال ديدنهم فبعثوا البعوث الى زنوج الحبش تارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا صورة النصرة على جدران قصورهم ومتى قفلوا راجعين من غزواتهم يأتون بالاسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما احرزوا قط نصراً مؤزراً ولا فتحوا فتحاً مبيناً فدهم الاغيار مصر اكثر مما حمل المصريون على الاغيار

حسنات القرن الماضي

عن الافرنجية

تقدم في البحث السالف ما اصاب المجتمع الغربي من السيئات والمضنيات والآن نلم بما أتاه القرن التاسع عشر من الحسنات والمقومات فنقول : ان الثورة السياسية الاجتماعية العظيمة التي حدثت في القرن الماضي في أوربا قد أثرت في تحسين القوى العقلية في الاجيال الحديثة كما أحدثت الاكتشافات العلمية وانتشار التعليم بين السواد الأعظم من الناس نشوءاً وارتقاء في المجتمع الحديث وفي الافكار التي يجري عليها فتحكم فيه حكمها وها نحن نعطي البيان حقه من شرح النتائج الظاهرة من التربية الحديثة طبيعية كانت أو عقلية أو أدبية ونذكر ما أثرت في الشبان من تغيير طرق معيشتهم وأعمالهم وأفكارهم حتى صار من همّ بعضهم ان يسيروا بالانسانية نحو الكمال وان كان ذلك الآن من المحال

وأعظم هذه الحادثات وأولها هي الثورة الفرنسوية اذ قوضت المبادئ التي كانت أساساً للحضارة الأوربية مدة قرون عديدة وبهذا كانت فرنسا مهد الاصلاح الاجتماعي العظيم والارض التي نمت فيها وربت تلك الافكار

الأساسية التي استولت على المجتمع الحديث كمساواة الجميع أمام القانون واشتراكهم في الحقوق والواجبات المدنية والسياسية وحرية العمل والصناعة وحرية الدين والفكر

ولا مراء أن قد قل في العصور الغابرة عصر أثر في حياة الامم الاوربية تأثيره في هذا القرن وماداناه قرن سابق ولا لاحق في أعماله . تلك الاعمال التي لم يقف نفعها عند حد الانقلابات السياسية بل تغيرت بها غايات الاعمال في المجتمع الانساني وأماني الناس وأميالهم فدخلت الانسانية كما قال بعضهم في طور جديد من الحياة مطالبة الانسان بوضع أساس للحقوق كافة وللقوانين عامة على ان تكون روحاً لحق الحرية . نعم تغيرت المناحي والافكار والعادات والنظامات الاجتماعية فتمثل للمرء ميدان الآمال الغريزية بعيد المضطرب ممتد الرواق وأيقن ان ساحة الجهاد شرع لكل العاملين فلم يفكر في غير تحسين حالته الاجتماعية بالعمل وتثقيف العقل . فانصرف بعضهم الى العلوم والفنون وبعضهم الى التجارة والصناعة وبعضهم الى زراعة الارض والاغتناء من غلاتها . وكل فرد من أعضاء هذا المجتمع يجتهد جهد طاقته في الاخذ بيد الترقي وانعاشه من سقطته

ولم يقنع الانسان بان يكون اداة حيوانية في تعاطي الاعمال بل بحث على العكس في ايجاد أدوات وآلات تقوم مقام الاذرع التي لم تكف للقيام بما هدته اليه فكرته الباحثة . فانقسمت العناصر القائمة بالجهاد الانساني وتنوعت بتعدد التنظيمات الطبيعية والعقلية المنبعثة من كل امرئ على حدته جرياً على ناموس تقسيم الاعمال . وما فتئت انواع المعارف الانسانية المتنوعة تكمل وتكبر والنجح مؤاتيها الى ان تبلغ مكانة سامية لم تعرف في القرون

الماضية . فالعمل وحب العمل هما من العلامات التي ينعت بها عصرنا هذا ولا اعني بالعمل العمل البهيمي المعهود في الازمان الماضية بل أريد العمل المنتج المتأتي عن ذكاء وفهم . ولقد كانت الحاجة ماسة قديماً للاذرع وقوة الحيوانات لطحن القمح وادارة المطاحن اما اليوم فقد توصل الفكر البشري الى استبدال البخار والكهربائية بتلك العوامل بمعنى ان الفكر في قرننا الذي يحق له ان يدعى قرن الماديات هو العمل والعمل هو الفكر . فماديات اليوم تختلف عن ماديات أمس من حيث ان هذه كانت تعد الفكر مادياً وتلك تحسن المادة بدرس خصائصها الطبيعية والكيماوية للانتفاع بها في الارباح والمتاجرات الصناعية

وبفضل ارتقاء الاشغال العقلية رق الشعور وسما الاحساس فصارت للمرء قيمة وللعالم مقام وانتهت الحال بتحرير الرقيق والاماء . وبارتقاء العلوم واستخدامها في الحرف والصناعات بلغ الانسان بايجاد موارد الانبات وتوفيرها والاستكثار من الثروة العامة مبالغها . وراح العامل وعدته المعارف العلمية في صناعته يعنى بالتعلم والتفكر والبحث ويهتم بارتقاء الصناعات والعلوم على حين كانت اداة ساذجة تابعة للآلات الصماء . وليس كل ما تم في هذا القرن من صالح الاعمال الا نتيجة من نتائج العلم العملي وأثر من آثاره . وحقاً ان ارتقاء العلوم الطبيعية والكيماوية في هذه الخمسين سنة الاخيرة قد أثرت تأثيراً بيناً في الصناعات وفي الطبقة العاملة من الناس بل في التجارة وعملائها بحيث امتنع على المرء ان يعيش عيشاً سا كناً خالياً من الهموم وإشغال الافكار على نسبة نجاح مشروعاته وأعماله . واذا كانت قيمة الغلات الارضية والصناعية عرضة أبداً للتقلبات على اختلاف أنواعها لتقلب كيفيات الاستعمال وتبدله

صار القائمون على الصناعات في قلق أبداً مضطرين الى ايجاد طرق بديعة أخرى لنيل الارباح التي تطمح اليها نفوسهم

الا وان اكتشاف البخار والكهربائية واستخدامها في التجارة والصناعة بتقريب الابعاد والمسافات وقد دفع بظواهر الحركة الاجتماعية الى الرقي فلم تتزايد طرق المواصلات فقط بل اختصرت بحيث استحالت الساعات دقائق والايام ساعات والشهور أياماً والسنون شهوراً . فقوى الحركة الحالية التي لا تنضب قد سهلت الصلات بقصر المسافات في لمحة بين أقطار المسكونة التي تتبادل للحال نتائج نجاحها وأفكارها وأعمالها . ثم رأى المرء نفسه في حاجة تضطره الى ان يقوم على الصناعات والعلوم بدون وناء وان يستخدم قواه العقلية باسرها ويوجهها نحو خصومه في البلاد الاخرى اذ ليست المسابقة مقصورة على شعب واحد ولا على بلد واحد بل قد امتدت شرارتها في اطراف الارض واتصلت بأمم الكرة الارضية كلها وخصوصاً بين من توفرت فيهم شروط الانتاج والعمل . ومع هذا فلم يقف عقل الانسان عند حد اختراع السلك البرقي والآلات البخارية بل قد تعداها الى خرق الانفاق في الجبال العظيمة وحفر الترع في القفار والاصقاع المستنقعة حباً تسهيل الصلات بين انحاء الارض المختلفة وتنشيطاً لمقايضة غلات الارض وثمرات العمل والذكاء

ومن نتائج المواصلات السريعة العديدة بين الارجاء الكثيرة والبلاد الشاسعة والاجناس المختلفة الطباع واللغات انتشار أفكار التمدن الحديث بين جمهور الناس والتسامح مع الآراء المتضادة . ثم ان الحاجة مست في تعليم

الطبقة النازلة من الناس وتلقينهم احترام الانسانية والبلوغ بهم الى تكريم الوطني بتعليمهم حقوقهم وواجباتهم

ومما تم في هذا القرن الجليل اعطاء المرأة حقوقها وتحريرها من رق العبودية التي رسفت في قيودها من قبل قروناً متطاولة فقد أنالها حقوقاً ساوت بها حقوق الرجل فصارت بذلك جديرة ان تربي أولادها وتلقنهم حب العمل وتطبعهم على بغض الرذيلة لاصلاح ما اختل من أحوال المجتمع البشري . ولم تكن حال النسوة في عصر من الاعصار مشابهة لحالهن اليوم فقد نلن بفضل القوانين المسنونة حظاً من العلم والادب تشتد به سواعدهن في التغلب على مشاق الحياة . وقد عنيت معظم حكومات أوربا بانشاء مدارس عالية وابتدائية لتعليم الفتيات العلم وتلقينهن أساليب العمل واذا صحت عزائم الافراد على اتباع سيرة الحكومات ومضافرتها في هذا السبيل من إنشاء المدارس للبنات ترتقي آداب المجتمع الانساني ويحيى نظام العالم حياة طيبة رغيدة

وقصارى القول فقد علمت مما مر بك بعض حسنات هذا القرن ولا يفوتك علم ما يناقضها . ومن نظر بعين البصيرة يتضح له كل الوضوح ان القرن التاسع عشر أفاد المجموع اكثر من الآحاد واذا نظرت كل شئ في الوجود نظر المستبصر تراه ذا وجهين وجه النور ووجه الظل وأحدهما نتيجة لازمة للثاني . فانك ترى الظافر في الحروب العظمى الوطنية يكره النصر فيحتفل بما يؤيد تاريخه ويترنم بالاناشيد الوطنية ليخلد آثار سلاحه في رقاب الاعداء ويسجل عظمة أمته ناسياً ما اهرقه من الدماء والوفاً من النفوس التي قضت نحبها في ساحة الوغى والوفاً من العجزة من جراح أو أمراض اصابتهم في الحرب وكثرة الايامى واليتامى ممن قضت عليهم أعمال القوة الوحشية

ان يرفعوا باستلال أرواح ذويهم مجد أمته وعظمتها

وبعد فلا يخفى ان كثرة انتشار الذكاء الانساني في القرن التاسع عشر وازدياد موارد الغلات زيادة لا تنقطع بما تهيأ لها من وسائط العمل الطبيعي والعقلي وجمع الثروات العظيمة وسمو منزلة الذكاء الادبية قد ولدت كلها سلسلة من الاهواء كانت فيما مضى مقصورة على طبقة قليلة من الناس . ذلك ان الافراط في حب السلطة والصيت والطمع في الغنى والشرف رشدة الظمأ الى البذخ والشهوات كان في القديم من خصائص الطبقة العالية والطبقة الغنية في الامم فتناول اليوم اهل الطبقة الوسطى حتى أرادت السير على مناحي الطبقة العليا حذو القذة بالقذة . اذا عرفت هذا فقد ثبت لك ان الطموح الى المطالب العالية والذهاب بفضل الشهرة لم يعم قط كما عم في النصف الاخير من القرن التاسع عشر . وقد اهلك هذا المرض الوبيل عدداً من القتلى اكثر مما اهلك من طبقات المجتمع المختلفة في أيامنا . ولئن تولدت الرغبة في الشهرة أحياناً من شعور شريف كريم وحملت المرء ان ينادي بمصلحته بل بحياته الخاصة توقعاً للنجح فهذا الهوى يتبعه العجب أحياناً فيسود صحيفة صاحبه بحيث يبعده عن غايته المقصودة فيحدث أحياناً هيجاناً عصبياً يستحيل الى زيغان في العقل واختلال في المدارك

وهنا سؤال وهو لم كانت هذه الاضطرابات العقلية والأدبية ؟ فالجواب عنها جواب لا يحتمل الريبة والمغالطة ان ذلك ينسب الى ميل أبناء عصرنا فقد افتتن الشبان بابهة الشهرة كأنها الغاية الاصلية في الجهاد الانساني وكأنها غاية السعادة التي ينبغي الطموح اليها . حتى ان الحكومات لتساعد جداً بزيادة نوابغ أبنائها على تنمية العجب وحب الذات في النفوس وتأصلهما

في تلك القلوب الفتية الراغبة في المراتب العالية بما ينهال عليها من المكافآت الفرارة والتشريفات الزائلة وبعد ان تلقي في اذهانهم خيالات غايتها تحسين مستقبلهم تتركهم وشأنهم على حين يدخلون مترك الحياة الحقيقية للشروع في الجهاد . نعم تسلمهم لقوتهم الخاصة عوضاً عن أن تكفل لهم مايستطيعون معه ان يقوموا بواجبات صناعة شريفة .

ثم إن إرتقاء الأفكار الدستورية واشتراك الوطنيين كافة في الحقوق المدنية والسياسية والرغبة في الاشتهار بالمجادلات في دور الندوة قد كان من نتائجها الطبيعية الطمع في الزعامة وحب السلطة بحجة الرغبة في تحسين حال الأمة واتخاذ أسباب السعادة العامة . يشترك في الدعوة الى هذا الأمر جميع طبقات الأمة . وكلما تأصلت الافكار الجمهورية في العادات والقوانين زادت اللهجة بذلك وتوفر القوم عليه .

وهناك شيء آخر وهو أن الرغبة في المناصب والمراتب زادت زيادة خرجت فيها عن طور التعقل وحدود الاعتدال حتى عند من لم تساعدهم ملكاتهم على تحقيق شيء مما ينالونه . وان قلة تميز الحكومات بين مختلف الكفاءآت والملكات في رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات قد دق عنق العدل وقتل روح المباراة وأطفأ نور القرائح قبل انبعاثه فصارت تعبث الشفاعة بالكفاءة الشخصية . فنتج من ذلك ان عدداً عظيماً من الفتيان رأوا بلوغ المراتب ومنازل التشريف غاية عملهم الوحيد فراح بعضهم يطمح فيها للوصول الى الغنى وبعضهم يميل الى الغنى للوصول الى المراتب واتخاذ أسباب التصدر وكان عليهم ان يكون العمل سبب السعادة وغايته العالية .

بيد أن العلم والصناعات كانت عند كثيرين القاعدة التي استندوا اليها

لبلوغ المناصب الاجتماعية السامية وسهلت لهم أسباب الغنى . وقد تولد من الطمع في التمول حب الشهوات والبذخ التي ما برحت تزداد نمواً في الطبقات الاجتماعية عامة كل يوم . وليس معنى البذخ الذي هو مقياس الثروة والغنى أو مظهر من مظاهر الراحة القائم بانفاق مبالغ طائلة لامتلاك مجاميع جميلة من الاعلاق والنفائس أو العاديات المجلوبة من أقطار عديدة بل إن معناه الاشارة الى النجاح والذكاء في كل من يحبون ان يشتهروا بحسن الذوق أو حب الصناعات والفنون . وما أقبح بذخ غايته ان يحدث ضرورة ويستر في مطاويه الشقاء تحت رداء جميل من التمويه أو ان تكون غاية من يجعله ديدنه اغواء الناس ليخرج من ضائقة ويستلفت الانظار الى غناه فيربح من ذلك ما يسد مخمصته وينيله بغيته .

ومن أعظم الاعمال التي قامت في هذا القرن تأليف الشركات فانها انتهت بتأسيس مشاريع عظيمة للانتفاع بموارد غلات الارض وتنمية صناعتها . وهكذا كان من تأليف الشركات المالية وجمعيات الاحسان أعمال وان أسفرت عن معاضدة الثروة العامة فقد قطعت أيدي كثيرين عن العمل وأضعفت من همم الافراد وخربت بيوتاً كانت من قبل عامرة . فان مايعمله الجماعة يستحيل على الفرد القيام به . وقد اكثر اكتشاف ركاز كاليفورنيا وأوستراليا والترنسفال من الذهب في الايدي وكانت التجارة في غنى عنه فنقص سعر الذهب وزادت قيمة المصنوعات والحاجيات مما جعل الانسان في أحرج المواقف من جهاد الحياة . ونتج فقر وغنى من جمع رؤوس أموال عظيمة وتأليف جمعيات صناعية ومالية كبرى بل كان من وراء ذلك فراغ

يتعذر إشغاله تعذر إملاء فنطيس (برميل) الدنائيد (١) اذ بعدت غاية عملنا بقدر امتداد دائرتها وانفصمت عرى الموازنة بين رغائبنا وأسبابنا فبذلت القوى العصبية واجهدت القرائح فوق طاقتها فكان من ذلك أمراض عصبية كثيرة .

التصوير والرسم

ما برح أهل الاختصاص في مدنية الاسلام يعجبون من كونها بلغت عند أهله شأوا بعيداً على حين لم يكن لهم هوى في التصوير والرسم كما لاهل المدنية من الامم الغربية لهذا العهد مثلا فيحكم أولئك الباحثون حكماً اجالياً على مجموع ماقام من تلك المدنية بجزء طفيف اطلعوا عليه منها .

ثم حظر الاسلام رسم الاشخاص مجسمة على حجر او خشب أو نحوه تفادياً من ان يرجع العرب الى عبادة الاصنام والوثنية التي جاء الاسلام للقضاء عليها . أما الرسم الذي يمثل الاجسام الى حد مافهو مباح لاحظر فيه ولا وزر على فاعله . والدليل على ذلك انه كان يرد على الصحابة اقمشة من بلاد الروم وفارس رسمت عليها صور أشخاص وغيرهم فاستعملوها في ألبستهم وفرشهم وأثاثهم وتحاشوا من وضعها في مكان عال فلم يجعلوها ستائر للنوافذ ولم يعلقوها على الجدر مخافة ان يشعر ذلك بتعظيمها .

---

(١) اسم لخمسين بنتاً لدانوس ملك مصر وارغوس من بلاد اليونان حكم عليهن ان يملأن بالماء فنطيساً لاقرار له لانهن قتلن ازواجهن وهذه القصة من اساطير اليونان المأثورة وبها ضرب الكاتب المثل .

اما رسم المسائل العلمية وتصويرها كالنبات والبيطرة والحيوان والهندسة فقد استعمله المسلمون بحسب الحاجة اليه . نرى مثلا من اجادتهم في هذا الشأن من رسوم كتب أبقتها لنا الايام ومنها كتاب كليلة ودمنة الذي عرب في القرون الاولى وشاع بين الطبقات كافة مزيناً بصور الاشخاص. وكذلك مقامات الحريري فقد نقل لي من زار مكتبة باريس ان فيها نسخة من المقامات مصورة بأبدع الصور كتبت في القرن السادس . ولابن عربشاه الدمشقي كتاب فارسي اسمه المرزبانامة مزين بالصور أيضاً .

قال أحد العلماء الاعلام في أحوال الاسلام . أفرط الاوربيون في استخدام الصور والرسوم حتى صار مصوروهم يتخيلون من ضروب التصوير مالا يتحقق في الحس وابتذل التصوير والرسم حتى صرت اذا قلت للغربي انك زرت البلد الفلاني مثلا ولم تأته بصور شمسية يكاد لا يفهم منك ولو كنت من الفصاحة بحيث يشترك في درك ما تقوله الكبير والصغير مما يكاد يدل على ان تلك الامم لا تقبل أذهانها الا المحسوسات وتدق عن تصور ما لا تراه في صورة مرسوماً رسماً مجسماً . قال وليس من العقل تصوير كل الكتب ولا جعلها خلواً من الرسوم بتة مع مسيس الحاجة الى التصوير ولا سيما في المسائل العلمية والادبية وان الاكثار من الرسوم يضعف قوة التصوير .

ومن العجيب ان المسلمين وان حظر دينهم التجسيد والهياكل والتماثيل فقد أبقوا في مصر على ما وجدوه منها مثل تمثال أبي الهول فانه بقي سالماً الى قبيل القرن الخامس حتى اذا اشتد التعصب قام بعض الجهلة يتقربون الى الله بالعبث بها وقد ذكر ذلك عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف المشهور

في رحلته ورد عليهم رداً تفهم منه ان المسلمين كانوا من التسامح بحيث لا يطيلون يد الاذى حتى لما حرمه شرعهم

نقل ابن ابي أصيبعة ان الملوك من اليونانية وغيرها كانت تعلم أولادها الحكمة والفلسفة وتؤدبهم باصناف الآداب وتتخذ لهم بيوت الذهب المصورة باصناف الصور قال وانما جعلت الصور لارتياح القلوب اليها واشتياق النظر الى رؤيتها فان الصبيان يلازمون بيوت الصور للتأديب بسبب الصور التي فيها وكذلك نقشت اليهود هيا كلها وصورت النصارى كنائسها وبيعها وزوق المسلمون مساجدهم

انحطاط الاخلاق

من البديهي ان للخلق عملا كبيراً في الحياة الانسانية يظهر أثره على كل فرد من أفراد النوع والحكم في هذا ثابت بالاستقراء مؤيد بالبداهة لاحاجة بنا الى الفلسفة فيه واقامة الدليل عليه . وانما نريد ان نذكر من أثره في مجموع الامة ماأصيب به أهل الشرق من الانحطاط الناشئ عن ضعف الاخلاق وفساد ملكات العلم بوسائل الحياة الطيبة التي يتمتع بها أمم غيرهم

لاخلاف بين الباحثين في طبائع الامم المشتغلين بتقصي أحوال الاجتماع في ان المدنية وان كانت أثراً جميلا من آثار ترقي الشعوب وتخلص العقل من قيود التقليد وتخلصه من أسر البداوة الا انها مرتع خصيب لجراثيم الادواء المفضية الى انحطاط الامم التي تنمو بنمو الحضارة وتتربى في احضان المدنية . ومن ثم كانت المدنية أشبه بمرتفع ذي سلمين للصاعد والهابط

لايلتهي صاحبه في الصعود حتى يبدأ بالنزول ذلك لان الاستغراق في المدنية مدعاة للاستغراق في الملاذ بما يتوفر فيها من أسباب الراحة ودواعي الرفاهية وهما جبلة الفساد الذي يتخلل اعضاء المجتمع فاما ان يتمكن منه فيرديه واما ان يطاوله فيؤذيه

واكثر مايظهر ذلك الفساد في الامم العريقة في الحضارة البعيدة العهد بسلامة الفطرة حيث ينتاهى بها الضعف الناشئ عن طول عهدها بالملاذ ويتولاها العجز عن مقاومة الفساد المتمكن في النفوس والاخلاق فتصير الى حالة من الانحطاط تشبه حالة المريض بمرض معد كل من خالطه سرت اليه عدواه

هذا شأن أمم الشرق التي توغلت في عصور المدنية منذ ابتدأ تاريخ الاجتماع البشري فكانت أقدم الشعوب عهداً بالتمدن لذا صارت الى ماصارت اليه من الانحطاط واهمال القيام على التربية الصحيحة التي تقاوم اعراض الضعف المتأتي عن الانغماس في المدنية والامعان في سبيل الرفاهية وصار الغرب مع ماتوفر فيه من أسباب الترف والحضارة أرسخ قدماً في المدنية وأبعد عن مكان الضعف لجدة مدنيته وقيامها على أصول التربية الصحيحة بما تسنى لاهلها من وجود بعض المخترعات النافعة كالمطابع التي أفادت الغربيين في تعميم العلم وتعليمه فوائد لاتحصى مع ان الطبع وجد قبل ذلك عند الصينيين من اهل المشرق ولم يستفيدوا منه ما استفاده الغربيون في رفع بنيان مدنيتهم على دعائم العلم الصحيح . ذلك لما قلناه من ان أمم المشرق الموغلة في الحضارة قد تولاها الضعف عن النهوض بما أفسد طول أيام حضارتها من أخلاقها منذ عصور بعيدة أو آلاف من السنين حتى صارت من ذلك

الى حال تشبه حال المريض الذي يعدي السليم . وليس فساد الاخلاق في المشرق بقريب عهد بل هو يتغلغل فيه من عهد طويل بدليل ماتقل في التاريخ عن أحد قناصل رومية انه قال « إنا وان غلبنا الشرقيين وهزمناهم ردوخنا ممالكهم الا انهم ثأروا منا بأن تركوا لنا مع هذه الممالك أخلاقهم المنحطة »

وفي الحقيقة ان الرومانيين وان بلغوا من عزة الملك والسلطان باستيلائهم على المشرق مابلغوه الا انهم منذ وطئوا باقدامهم أرض المشرق خطوا الخطوة الأولى الى الانحطاط بما تسنى لهم فيه من وسائل الترف التي كانت متوفرة يومئذ عند الشرقيين فغلبت على نفوسهم الشهوات وحب الراحة والتنعم بنعيم أهل المشرق ففسدت فطرتهم البدوية التي مهدت لهم بسلامتها من شائبة الحضارة سبيل الغلبة على القرطاجنيين والفرس وغيرهم والتسلط على الغرب والشرق حتى اذا خالطوا أمم المشرق التي كان لها حظ من الحضارة ولم يحتاطوا لانفسهم من آفات المدنية الشرقية التي تسممت بفساد الاخلاق سقطوا من حالق مجدهم ذلك السقوط المريع وغشيهم بعد ذلك من الضعف والذل ماذهب بدولتهم ، ومحا من عالم الاجتماع اسمهم . وحسبك ان تعلم مبلغ انحطاط الاخلاق في دولة الرومانيين في المشرق من تعاليم عيسى عليه الصلاة والسلام التي ترمي الى الزهادة في نعيم الدنيا لتقف بالقوم عن الاسعاف في مذاهب الشهوات والاستسلام لمطالب النفوس الهائمة بحب الانطلاق عن كل قيد . وهذا شأن المشرق أيضاً مع من سبق من الرسل أصحاب الشرائع التي جاءت كلها لتقويم أود النفوس وإنما تنزل هذه الشرائع عند الحاجة كما هو معلوم بالضرورة فكأن المشرق لاستحكام الحضارة في أهله وتأصل فساد الاخلاق فيه لم تنقطع حاجته الى رسول أو شريعة تقوم مناد ساكنيه

وما أصاب الرومان من مخالطة الامم المتحضرة من سكان المشرق أصابه العرب أيضاً فهم وان كانوا من أهل المشرق غير أنهم من شعوب البدو التي تسيجت من تطرق الحضارة اليها بسياج واق من الصحاري الشاسعة التي تحيط بجزيرتهم حتى اذا بعث الله نبياً منهم بشريعة تدعو الى الخير وترمي الى تهذيب أخلاق الامم ونهضوا لنشر هذه الدعوة وتقدموا للفتح كان لهم من سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق ممهد عظيم لبسط جناح السلطة على الممالك القديمة وفي جملتها بقايا مملكة الرومان الشرقية. ولما تمكن لهم السلطان في الارض واختلطوا بأهل الحضارة والترف من أمم المشرق غلبوا على أخلاقهم وأسرع اليهم عدوى الفساد اليهم فلم يلبثوا إلا جيلاً أو بعض جيل حتى أخلدوا الى الراحة ونسوا حظاً مما ذكروا به وحملوه من دعوة الخير والارشاد الى الأمم فانحطت أخلاقهم وزالت سطوتهم، وذهبت مع الذاهبين دولتهم

يظن بعضهم ان مامنيت به مدنية الغرب لهذا العهد من فشو الفاحشة والتهتك بين أهلها هو نتيجة الايغال في الحضارة والنزوع الى الشهوات وأن فساد الاخلاق المؤذن بتلاشي الأمم إنما هو محصور بمثل هذه الرذائل الفاضحة وليس الامر كذلك اذ أن هذه الرذائل وإن كانت من نتائج الحضارة ولها أثر قبيح في المجتمعات المدنية فهي بعض من كل ماتدعوه فساد الاخلاق ونراه مظنة انحطاط المشرق وأهله. إذ من المعلوم ان الاخلاق الفاضلة واضدادها كثيرة جداً كالكرم والبخل، والعفة والشره، والشجاعة والجبن، والصدق والكذب، والامانة والخيانة الى غير ذلك من الملكات التي منها ما يكون بالفطرة ومنها ما يكتسب بالتربية وتولده في النفوس البيئة أو الوسط الذي يعيش فيه الانسان. وضرر الكذب مثلاً إذا تفشى

بين قوم أشد خطراً على حياتهم الاجتماعية من التهتك . لان الكذب آلة كبيرة من آلات الفساد تهدم ركناً عظيماً من أركان المدنية وهو الثقة التي هي روح التجارة والصناعة في كل عصر ومصر . وكذلك الجبن مثلا فانه اذا استحوذ على النفوس أضعفها وانتزع منها ملكة الاقدام على جلائل الاعمال وحرم أربابها ثمرة الاعتماد على النفس والمجاهدة في سبيل الحياة. وهكذا يقال في كل خلق من الاخلاق الفاسدة كما يقال بالعكس في الاخلاق الفاضلة . ومن اطلق على الشرق نظر المتأمل ورأى ماتفشى بين أقوامه من ضعف النفوس ، ووهن العزائم ، وفقد الثقة والامانة ، والنميمة ، والرياء ، والكبرياء الباطلة ، والعيشة الخاملة ، والرضا بالقديم ، ومعاداة العلم وغير ذلك من الاخلاق السافلة التي قضت بالشقاء على الشرق واهله علم ان ما اصاب مدنية المغرب من الاستهتار وشيوع الفاحشة ليس بشيء في جانب مايرى ثمت من الثقة المتبادلة ، والامانة في المعاملة ، والاعتماد على النفس في معترك الحياة ، والنزوع الى المزيد من القوة والعلم والثروة . وحب الحرية ، والصدق في العمل والقول ، والبعد عن المداهنة والرياء ، خصوصا للقادة والزعماء ، وغير ذلك من الاخلاق العالية التي أصبحت سياجاً للمدنية الغربية يقيها سرعة السقوط فيما سقطت فيه المدنية الشرقية من الضعف والفساد

ورب قائل يقول إن من المحال اذن تخلص الشرقيين من حبائل الانحطاط في الاخلاق واستئصالهم لمرض الضعف الذي نما فيهم بمرور الاجيال ، نمو المرض القتال . والجواب عن هذا ان المحال ، في الممكنات محال . واذا نهض اهل الشرق لملافاة مافات ، والنظر فيما هو آت ، وانتهجوا سبيل الاناة

والتعقل ، وكان لهم من القادة ما كان لاخوانهم اليابانيين فليس من المحال حصولهم على مدنية فاضلة تضاهي مدنية المغرب لهذا العهد . ولنا بهذا الصدد كلام آخر نرجئه لفرصة أخرى ان شاء الله

القاهرة رفيق العظم

الكتب والجرائيم

العاقل يأخذ من كل كلام أطيبه ومن كل نصيحة انفعها فلو أراد مثلا ان يعمل بجميع مايشير به علماء البكتريولوجيا ويعتقد بفعل الجراثيم اعتقادهم بها لانقطعت يده عن العمل ولسانه عن الاكل وانفه عن الشم وجسمه عن الحركة ولكن الحكيم يأخذ الكلام ويزنه بميزان الانصاف ويقلبه على محك البصيرة فلا يقبله أو يقبل منه الا بعد عرضه على فيصل العقل ومحكم التجارب

ارتأى أحد نطس أطباء الفرنسيس مؤخراً ان أحسن واق للمرء من الجراثيم ان يطالع من الكتب ماصدر من المطابع حديثاً ويقطع أوراقها بقطع من العاج اذ قد ثبت بالفحص البكتريولوجي ان في الكتاب الحديث قليلا من الجراثيم التي لاتضر ولكن في دفات الكتب وتحت مغابن أوراقها التي تتداولها الايدي كثيراً كاسفار المكاتب وغرف القراءة الوفاً من الجراثيم القتالة يتجلى ذلك بالعين المجردة لمن يحدق فيها وفي كل سطح مربع من أمثال هذه الكتب ٤٣ جرثومة فيتكون من كتاب مؤلف من ثلثمائة الى اربعمائة صفحة عدد مدهش من الجراثيم . وليست كل هذه الجراثيم مما يضر ويؤذي على رأي علماء البكتريولوجيا بل ان معظمها من

النوع الذي يكثر وجوده على سطح جلدنا ورأس اصابعنا وفي غبار الجو . ولكن الخطر كل الخطر آت من اولئك المسلولين أو الناقهين من الحمى الحصبية من ينظرون في تلك الكتب المعدة لقراءة الخاصة والعامة ويودعونها من سموم أمراضهم مالا يشفى صاحبه . الخطر آت من أولئك المرضى الذين يسعلون ويعطسون ويمرون أصابعهم وهي مبتلة بلعابهم على صفحات تلك الكتب . فان مايتركه المسلول أثناء مرضه أو الناقه من الحمى في ثلاثين أو أربعين يوماً من نقاهته أو المصاب بالدفثيريا من الباشلس والجراثيم بين تضاعيف الاوراق لايقدر مضرته الا الباحث

وليست الحوادث التي تدل على انتقال الامراض المعدية بواسطة الكتب والرسائل والاوراق العتيقة بنادرة فقد أورد بعضها الدكتور لوب الفرنسوي في تقريره الى المجمع الطبي الباريزي ومن أعظم ماقصه من هذا القبيل ماشهدته بلدية خاركوف من أعمال روسيا من فتك السل في مستخدميها فتكا ذريعاً وبعد البحث ظهر لها ان هذا المرض كان يفتك فيمن كان عهد اليهم العمل في سجلات الادارة خاصة فسلمت أوراق تلك السجلات للبحث البكتريولوجي فثبت بعد الاستقراء ان احد موظفي تلك الادارة وكانت مهمته الرجوع الى تلك السجلات أصيب بالسل وكان من عادته ان يبل رأس إبهامه ليقلب أوراق دفاتره فابقى بين أوراقها كمية وافرة من جراثيم مرضه نمت على الزمن حتى جاء من بعده وأخذت تسري اليهم

ومن الامثلة أيضاً ان امرأة وضعت طفلا فكان الطبيب يطبها ويطبه على أحدث الطرق في منع الفساد فمات الطفل في اليوم الثالث عشر من يوم ولادته بعد ان خرجت له بثور متعددة ثم تناولت هذه البثور والدته

فماتت بعد مدة أيضاً وكان سبب ذلك كتاب عتيق استعارته الام من إحدى غرف المطالعة كانت تقرؤه وهي ترضع طفلها فنزع الطبيب جلد الكتاب وبعض ورقات منه فشهد فيه جراثيم ذاك المرض الذي قضى على النفساء وابنها

وما برحت مسألة العدوى بالكتب شاغلة بال الباحثين من علماء الصحة. ويقولون ان الخطر في الكتب المدرسية عظيم جداً لانها تنتقل من يد الى أخرى حتى تمزق وتسود ويحشر فيها من ضروب الجراثيم اشكال الا أن بعضهم يقول إن الجراثيم لا يطول عمرها على صفحات الكتب كثيراً فباشلس السل يعيش مائة وثلاثة أيام وجرثومة الهواء الاصفر ٤٨ ساعة وجرثومة الخناق ٢٨ يوماً وباشلس الحمى التيفوئيدية يعيش من أربعين الى خمسين يوماً. ويقول قوم انه لا ينبغي ان يوثق بهذه الارقام لانه ثبت ان سم الخناق يعيش كثيراً في الثياب وان أحسن الطرق ان تطهر الكتب وليس من طريقة لتطهيرها الا بامرارها على بخار فورمول الا أنها اذا مرت عليه تهرأ الورق وتمزق بعد حين ولا بد أن يمر الكتاب على هذا البخار صفحة صفحة. وحدث ماشئت ان تحدث عن العناء الذي يلقاه من يعهد اليه تطهير ألوف من الاسفار. وكيفما دارت الحال فان النظافة مطلوبة شرعاً وعقلا والوقاية لازمة واختيار الكتب النظيفة خير من القذرة. وعسى ان يكون فيما تقدم عظة لمن اعتادوا ان يعيروا الكتب والمجلات وينقلوها الى أيدي كثيرين حتى ممن لا يعرفونهم فيقللون بذلك من عدد مبتاعيها ويجلبون بها جراثيم مضرة بهم

قوة الجنس اللطيف

نظمتها للمقتبس وهي من باب النسائيات من الجزء الثالث من الديوان

هي للنعيم وان شقينا موعدُ في كل يوم مخلف ومجددُ
لعب الزمان بنا على آمالها ما إن يحققها ولا هي تنفدُ
وأشد مالقي امرؤٌ من نفسه أملٌ اذا اقتربت اليه يبعدُ
قالوا النسا خدُّ الزمان فهل ترى يسوى دماء العاشقين يوردُ
قالوا بنات الشمس في الدنيا وقد صدقوا لان لظى الهوى لا تخمدُ
قالوا وأمثال النجوم لانها ما حولها إلا ظلام أسودُ
ان النساء هي الوجود أما يرى كل الرجال لاجلها ما يُوجدُ
هي في القلوب وكل شيء راجعٌ للقلب فهي لكل شيء موردُ
والقلب في نسج الطبيعة عقدة بين الهوى والرأي لم تلهَا يدُ (١)
فاذا نظرت الى المظالم لم تجد الا إرادات النسا تتجسدُ
وإذا بحثت وجدت كل عظيمة في طيها نظرات أنثى تشهدُ
يدعونه « الجنس اللطيف » لضعفه فسل البخار بلطفه كم يجهدُ
ماالشأن في صغر الامور وضعفها أين الرصاص اذا دَوَى والجلمد
السيف يقطع والردى ذو سطوة والنار تحرق والنسا تتودد
واذا تقلدت الخليَّ فانما مفتاح باب القلب ما تتقلد
ما البحر ملتطماً تضارب موجه كالغيظ في صدر امرئ يتردَّد
متواثباً كالشيخ يحرج صدره فتقوم (هامته) لذاك وتقعد

---

(١) أي لم تقدها

متنفساً نفس الضال اذا هوى ... وتهم الهند يلتيه سهد
متنبطاً حرداً فلولا انه ... ماء لسال أشمة تتوقد
تثب العواصف فوقه وتثب الجنو ... ن يظل يبرق اذ يهيج ويرعد
بأشد من أنثى تكلفت الهوى ... وأتت بحيلة ضعفها تتهد
طنطا

مصطفى صادق الرافعي

روح جديدة

أخذت الامة تنصبغ بصبغة الغربيين منذ انشأت تأخذ العلوم عنهم وتختلط بالخاصة والعامة منهم. ومن ذلك إجلال رجال العلم والادب احياء كانوا او أمواتاً. فقد بدأت في الشتاء الماضي بتأبين المرحوم فقيد الادب محمود سامي البارودي وتلاوة القصائد والخطب على ضريحه يوم دفنه واربعينه وثنت بتأبين حكيم الشرق الشيخ محمد عبده تأبيناً لم يسبق له نظير كما احتفلت في الصيف المنقضي بمترجم الالياذة العالم سليمان افندي البستاني. كل ذلك جرى في هذه العاصمة وهي مبعث العلم من بلاد الشرق العربي ومثال الادباء وعصمة العلماء.

ولقد شهدت في النصف الاخير من ذي القعده حفلة ثانية من تكريم الاحياء للاحياء أقامها جماعة من السوريين في نزل كونتنتال احتفاء بشكري افندي غانم ناقل رواية عنترة الى الفرنسية والشاعر المجيد بلغة الفرنسيس. وهو من اهل سورية غادر بلاده منذ ٢٥ سنة وصرف معظم اوقاته في الديار الفرنسوية. فحضر الاحتفال نحو ثلثمائة رجل من علية المصريين والسوريين والفرنسويين وغيرهم وتليت خطب وقصائد بالعربية والافرنسية فاض منها معين بلاغة

العرب والعجم فتكلم بالعربية سليمان افندى البستاني ومصطفى باشا كامل وخليل افندي مطران وعبد الفتاح افندي بيهم واسعد افندي داغر وبالافرنجية يوسف باشا شكور والمسيو البان ديروجا وأيوب افندي كميد وداود بك عمون وصاحب الحفلة

احتفلوا باديب خدم الادب الافرنجي . ولما كانت الامة لم تبرح بعد في طفوليتها من حيث نهضتها العلمية فلا يزال احترامها مقصوراً على الادباء في الغالب . وقد اذكرني هذا الاحتفال بما كان يجري من أمثاله في عصر الحضارة الاسلامية أيام كانت الامة مدة الدباسيين تكرم العلماء والادباء كيف كانت نحلتهم ولغتهم . وكان هؤلاء يتعابون ويتآلفون كالاخوة من غير حرج ولا نكير . ومن قرأ كتاب المقابسات لابي حيان التوحيدي يتجلى له ان العلم يجمع بين المتباعدين وان كل من خمره العقل وعجنه التهذيب وخبزه العلم يتمسك بالجوهر ويطرح العرض وينظر من الاشياء الى مقاصدها ومغازيها.

التعليم والتربية

السعي والعمل

نشر هذه الايام رئيس نظار فرنسا المسيو دومر كتاباً سماه «كتاب لابنائي» فاقتبسنا منه الفصل الآتي وهاك تعريبه قال : ان في العمل حياة والفكر والارادة لا يعدان شيئاً اذا لم يكونا سلماً للعمل . الا وان العمل والنشاط والسعي من لوازم التوازن الادبي والطبيعي في الانسان وهي من

شرط كيانه وبقاء المجتمعات البشرية . ولقد قضت الفطرة ان يكون العمل فرضاً سامياً وجعله قانون الادب واجباً . ورجل العمل هو الرجل النافع لنفسه ولغيره ولبلاده . وتحتاج فرنسا أكثر من قبل الى رجال عمل من أبنائها فرجال القول فيها كثير . وقد مدح أجدادنا بفصاحتهم منذ عشرين قرناً ونهال عليهم هذا المديح المضحك أيام السقوط والانحطاط خاصة . ولقد كان قيصر يذبح خطباء الغلوا ويجرهم دامية أجسادهم الى مركبة ظفره ولطالما خطبوا وأجادوا وظلت بلاد الغول مستعبدة .

ومن السعادة ان نرى أهل جنسنا قد أظهروا في تاريخهم الطويل المجيد من القادرين على العمل أكثر من غيرهم تشهد بذلك الفا سنة قضاها في العمل والحرب والمجد فمن الواجب ان نجد في أبنائنا اليوم ذاك الشعور بالعمل والارادة فمستقبلنا وحياتنا مناطان بذلك

فبالعمل المتواصل الفعال يظفر المرء بالنجاح في جهاد الحياة وميدان العالم فالعمل لازم للدلالة على اننا مطبوعون عليه متطالون اليه وذلك بدون وناء دون ان نعرف العنت والتعب . فبالعمل تستحكم قوى جسدنا وعقلنا ونحفظ صحتنا الطبيعية والادبية . فالعمل هو الحركة والنشاط وان شئت فقل هو الحياة بعينها . والجمود والبلادة في قلة الحركة وفي قلة الحركة الموت . وإن في العمل على اختلاف أشكاله عقلياً كان أو أدبياً أو طبيعياً لاشارة على الحياة الشديدة . تلك الحياة التي هي أليق بأن تكون شعار النفوس الكبيرة والتي يجدر بالمرء ان يحيا بها . هب ياهذا للعمل أحسن ما في حياتك فليس كل عمل سعياً والسعي هو العمل المستمر القانوني والعمل يوجد ويغير وينتج . ولا يكفي الانصراف الى العمل جملة واحدة بل لابد لنا من السعي في العمل المنتج

للخيرات المقلية والطبيعية . فالسعي هو أول قانون إنساني ابدي يقضي على الجميع ان يتوفروا عليه فيه تكبر النفوس وتشرف الارواح وهو ضروري للسواد الاعظم وفرض على الجميع .

متع طرفك قليلا في سير الانسانية تجد ان السعي كان في كل دور من أدوارها شرطاً في حياتها وأداة في نجاحها فالسعي والذكاء والنشاط تغلب الانسان على الحيوان واستعبد قوى الطبيعة فالتمدن عامة وخصوصاً التمدن الاوربي العظيم هو ابن سعي الانسان « ففي السعي الحرية » كما جاء في بعض الاناشيد . السعي يضمن لمن ينصرف اليه إستقلالا ووقاراً يتعذر نيلهما على العطل ولا يطمح اليهما . فهو للعوز ضرورة مطلقة وفرض مادي مشروع كما هو فرض إجتماعي وللغني نافع له من حيث انه ينتفع من مال حصل عليه غيره وأورثوه إياه والواجب عليه في هذا المعنى كالواجب على الفقير .

وليس عندي من النعوت ما يوصف به من لا يعمل ولا يسعى . أي فضل في الحياة وإعجاب بها عند من لا يود ان يساعد المجتمع بعمله أقل مساعدة وان يجاري في العمل الاجتماعي والوطني . والغني في سعة من ان يسعى ولا يجب عليه السعي اكثر من غيره لان الاسباب لديه على العمل اعظم ولانه غني عما يكتسب به ضروريات فينصرف الى المطالب العالية ويسهر على المصلحة العامة . الا وان السعي رب الفضيلة والبطالة أم كل الرذائل كما جاء في المثل . ومن الف الفراغ يصبح وجوده عدماً ضاراً بالمجتمع وبنفسه ولا يمكن الامتناع عن كل عمل فمن لا يعمل الخير يعمل الشر لامحالة فبالسعي الحياة وبالبطالة تفلج الاعضاء وتموت . حديد لا يستعمل يصدأ ودماغ واعضاء تعفى من العمل تضعف وتسقم . فمن يشغلهم السعي ويعيشون عيش

العاملين يمدون بحفظ قواهم وصحتهم ولا يتأثرون بالمظاهر الخارجية والمناظر التي تدهم الكسل العطل . لا يأتون كل صباح الى ميزان الحرارة تفكهة ولا ينظرون أحوال الجو ولا يحدقون في المرآة الى لون السنتهم بل يعيشون ويعملون ويبدون ويحرقون الجراثيم المضنية التي تسطو على اجسادهم وعقولهم فهم سالمون طبيعة وأدباً لانهم عاملون

السعي يدعو الى تحمل اعباء الحياة وشقائها القليل بنشاط ويمنح حسن الخلق والسرور وعلى العكس في البطالة فانها تدعو الى الافتكار في أقل مايصادفه المرء من العوائق وتعظمها كما تعظم الآلام والاوجاع فتولد الحزن وسوء الخلق والسويداء وهذا المرض من أمراض النفس وهو مبعث أمراض الجسد

صحف منسية

شعر فقيه

الشائع على الالسن ان شعر الفقهاء منحط عن شعر الادباء ولكن هذا الحكم لايصح على اطلاقه اذ ما كل فقيه جامد القول تافه الاساليب، وليس كل الناس المهذب والاديب . نعم وليس كل الشعراء منحلة قيود تربيتهم، معتلة عهود حميتهم وحماستهم . ومن المذكورين بالرحمة القاضي علي بن عبد العزيز (٣٦٦) الذي وصفه صاحب البتيمة بانه : فرد الزمان ، نادرة الفلك، وانسان حدقة العلم، وقبة تاج الادب، وفارس عكر الشعر، ومجمع خط ابن مقلة، الى نثر الجاحظ، ونظم البحتري، وقد كان في صباه خلف الخضر في قطع الارض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما واقتبس من أنواع العلوم

والآداب ماصار به في العلوم علما وفي الكمال عالماً، وله من أبيات

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى وما علموا ان الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرما عليَّ الغنى نفسي الابية والدهر
اذا قيل هذا اليسر ابصرت دونه مواقف خير من وقوفي بها العسر

وله : وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسع

فقلت ولكن موضع الرزق ضيق

اذا لم يكن في الارض حر يعيني ولم يك لي كسب فمن أين ارزق

وله : ماتطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليساً
ليس شيء أعز عندي من العلم فما ابتغي سواه أنيسا
انما الذل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

وقال وهو مما هو يجدر بكل عالم ان يجعله نصب عينه ورهن اذهنه :

يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلاً عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض مالا يشينها مخافة أقوال العدا فيمَ اولما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرساً واجنيه ذلة اذاً فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو أن اهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

مطبوعات ومخطوطات

كتاب الأم

تنبه شعور رجال الأمة لهذا العهد بأن من أعظم أسباب النهوض الاءهابة بالناس الى العمل بما ألف من الكتب في القرون الاولى للاسلام لمحض خدمة المجتمع ونفعه الخالص بدون تقية ولا غرض. ولو رجع أهل كل مذهب من مذاهب أهل السنة الى أصول مذاهبهم وطرحت كتب المتأخرين واختلافاتهم اضاق مجال الخلاف ولم يجد المحكون سبيلا لقول يقولونه . وقد عني حضرة العالم الاصولي ذي المعزة السيد احمد بك الحسيني من أعاظم أهل العلم والعمل في مصر بان طبع على نفقته كتاب الام للامام الشافعي رضي الله عنه . طبعه بالمطبعة الاميرية ببولاق بعد ان كادت تعبث به أيدي الضياع شأن كثير من كتبنا . فأتى من الشام ومصر والحجاز واليمن والمانيا وغيرها بنسخ من اجزاء هذا الكتاب صار بها الطبع أصح ماينبغي ان يكون بالطبع . وهو عمل عظيم لو حذا عشرة من رجالنا حذو السيد الحسيني لما بقي لاسلافنا بعد حين كتاب مهم تتوق الى طلعته نفوس الخاصة والعامة فجزاه الله أحسن جزاء

ولعل نفوس بعض القراء راغبة في ان تعرف من هو الشافعي وما هو كتاب الأم . فالشافعي لا مجال لترجمته الآن بعد ألفت الكتب الضخمة في ترجمته وتمداد مناقبه ويكفي ان يقال في وصفه انه كان إماماً قرأ عليه الأئمة في عصر قام فيه أعاظم رجال الاسلام وانه ألف ما ألف من كتب الفقه والخلاف وغيرها قاصداً به وجه الله فكان أهل مذهبه اليوم ربع

أهل الاسلام أو يزيدون ، جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ذكر من صنف في مناقب الامام الشافعي : داود بن علي الاصفهاني الظاهري وزكريا بن يحيى الساجي وعبد الرحمن بن أبي حاتم وأبو الحسين الآبري والحاكم أبو عبدالله بن البيع وفي عصره أبو علي الحسن بن الحسين بن حكمان الاصبهاني وأبو عبدالله بن شاكر القطان والامام اسماعيل السرخسي والاستاذ أبو مسعود عبد القاهر بن طاهر البغدادي كتابين والحافظ أبو بكر البيهقي والحافظ الخطيب والامام فخر الدين الرازي والحافظ أبو عبدالله الاصبهاني المعروف بابن المقري والحافظ البيهقي وامام الحرمين أبو المعالي الجويني .

هؤلاء الأئمة صنفوا في مناقب الشافعي ولو شاء الباحث استقصاء من شهدوا له بالعلم والاخلاص في عصره ومن بعده لاستغرق ذلك اسفاراً برأسها . وقد اعتذر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس بان من « يتكلف التأليف في هذا يقع في تعب من غير أرب » وكتاب الأم كما قال ابن حجر نقلا عن البيهقي بنصه : أولها الطهارات ، ثم الصلوات ، وذكر فيها الجمعة ، ثم الخوف ، ثم العيد ثم الكسوف ، ثم الاستسقاء ، ثم التطوع ، ثم حكم تارك الصلاة ، الجنائز ، الزكاة ، قسم الصدقات ، الصيام ، الاعتكاف ، المناسك ، البيوع ، الصرف ، السلم ، الرهن الكبير ، والرهن الصغير ، والحجر والتفليس وسائر المعاملات ثم الوصايا ، والفرائض ، ثم احياء الموات ، والوديعة ، واللقطة ، واللقيط ، ثم كتاب النكاح ومتعلقاته ، ثم الجنايات ثم كتاب قتال أهل البغي ، ثم الجهاد ، وسير الاوزاعي ، وسير الواقدي ، وكتاب الطعام والشراب والضحايا والصيد

والذبائح، والقضاء بالبين والشاهد والدعوى والبينات والاقضية، والايمان والنذوز، والعتق بانواعه وكتاب الشروط وعدة كتب الام مائة ونيف واربعون كتاباً . هذا هو كتاب الأم بل مجموع الشريعة الغراء في صفحات، وقد طبع منه الآن اربعة مجلدات وبقي ثلاثة وجعل الطابع في هامش ماطبع مختصر المزني للامام الشافعي أيضاً وسيكون على هامش ماسيطبع من الاجزاء مسند هذا الامام وكتاب اختلاف الحديث له أيضاً وبعد فان الامة تتشرف بصدور هذا الكتاب وتنشد ماقاله ابن دريد في مدح الشافعي رحمه الله

الم تر آثار ابن ادريس بعده ... دلائليا في المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهي خوالد ... وتنخفض الاعلام وهي روافع
مناهج فيها للهدى متصرف ... موارد فيها للرشاد شوارع
ظواهرها حكم ومستنبطاتها ... لما حكم التفريق منه جوامع

جواهر البلاغة

هو كتاب يدخل في ٣٢٦ صحيفة من قطع الوسط في علوم المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر والسرقات والمحاضرات الشعرية لمؤلفه الاستاذ الجهبذ الفاضل الشيخ أحمد الهاشمي أحد العاملين من المؤلفين في هذه العاصمة . سلك فيه مسلك الايضاح والتقريب على طلاب الادب ونحا فيه منحى التآليف العصرية في التنسيق ولطف الاداء . ولولا بعض اصطلاحات يتوقف فهمها على شرح معلم لاحالة لقلنا ان جواهر البلاغة مما يقرؤه المطالع لنفسه ، ويفهم لباب هذه الفنون بدرسه ، وقد كانت فيما مضى صعبة المتناول الا على من صرفوا في تحصيلها أعمارهم ، ووقفوا على تدبرها ليلهم ونهارهم

المفرد العلم

كتاب « المفرد العلم في رسم القلم » من تأليف الاستاذ الهاشمي المشار اليه أهداه الينا فيما أهدى من تآليفه . سفر جليل لايستغني عنه العامي فضلا عن الخاصي

لان فيه بيان لكتابة الحروف العربية وقواعدها وضوابطها وقد عقب عليها بتمارين وأمالي زاد عليها هذه المرة تمرينات وأمالي لم تكن في الطبعات الماضية وشرح الالفاظ الغريبة فصار الكتاب مفيداً للإملاء والمطالعة والانشاء تاماً في الدروس التي قررتها نظارة المعارف المصرية في مدارسها . ويكفي في بيان مزيته أنه طبع الآن للمرة الخامسة ولو لم يكن اقتناؤه من الضروريات لما وجد كتاب في التعاليم من بتاع بنسبه الطبعة الاولى . فنثني على اجتهاد المؤلف العامل أطيب الثناء لانه يتوخى فيما يكتب سهولة التعبير ، وجودة التصوير ، أثابه الله

الضياء وابن سراج

كراسة نشرها سعادة العالم اللغوي الامير شكيب ارسلان دفع فيها ما خطأه به حضرة العالم اللغوي الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء الغراء من وقوع بعض الفاظ في روايته آخر بني سراج كان انتقدها الشيخ في جملة ما انتقده على كتاب الجراثد من الالفاظ والتراكيب . ومن رأي الامير ان اللغة العربية يقع فيها النقل لادنى ملابسة وقد أورد نصوصاً من اللغة على ذلك كقوله ان الناقوس والشبابك والبيت والجريدة لم تطلق عند من دونوا اللغة على تلك المسميات التي يعرفها أهل زماننا بل عرفت في كتب اللغة بأن الناقوس خشبة كبيرة تقرع بخشبة صغيرة ويقال لها الوبيل والشباك ماوضع من القصب ونحوه من صنعة الاواري والبيت كان يقال لبيت الشعر والجريدة سفة طويلة رطبة . وعلى الجملة فانا نشكر للشيخ والامير عنايتهما باللغة وغيرتهما عليها ونتقدم اليهما باسم العلم وهما من اعز انصاره ان يقصرا من الجدال على النحو الذي جريا عليه فكلاهما فرد في شانه اوحد في سعة بيانه والتهكم لا محل له في الابحاث العلمية وتقرير الحقائق الادبية واللغوية .

مجلة الشتاء

اسم مجلة اصدرها بالقاهرة حضرة الشاعر الناثر ذي المزة سليم بك عنحوري الدمشقي صاحب الدواوين الشعرية والروايات النثرية وهي أدبية علمية تاريخية فكاهية شعرية تظهر شتاء وتحتجب صيفاً وقيمة اشتراكها أربعون قرشاً أميرياً . وقد تصفحنا العدد الاول منها فرأيناه طافحاً بالمقالات والمقاطيع المنظومة والخطرات المنثورة من بنات أفكار صاحبها فنشكر له همته ونشاطه في خدمة الآداب ونسأل له حسن التوفيق كما يحب ويحب له كل مشتغل بالادب غيور عليه .

كتاب الخير والشر

انصرفت وجوه بعض المتعلمين والمستنيرين من الناشئة الى قراءة الروايات على اختلاف مناحيها فانصرف الى كتابة أمثال هذه القصص جماعة من الادباء ومنهم الاديبان البارعان محمد افندي وجيه وحسين افندي الجمل ترجما في العيد الاخير رواية كاترينا بلوم لاسكندر دوماس القصصي الافرنسي المشهور فنثني على اجتهادهما أجل ثناء ونتمنى ان يكثر أمثالهما من الكاتبين العارفين فجامعتنا تحتاج كل ضرب من ضروب البضائع العلمية . وثمن النسخة ستة قروش صحيحة

تدبير المنزل

آفات الغبار

من يدرس كتب الصحة لابد ان يعرف ما يحدث عن الغبار من الآفات والمضايقات . كتب أحدهم يقول ان ليس في السنتمتر المكعب من الهواء الخارجي غير مائة وثلاثين الف ذرة من ذرات الغبار على حين اثبت الامتحان ان في السنتمتر مليوناً وثمانمائة الف ذرة واذا أحصي الغبار بعد الكنس فيكون في كل سنتمتر مكعب خمسة ملايين واربعمائة وعشرون الف ذرة . وفي هذه الذرات من أنواع المؤذيات مالا يطلب غير مستوبل ندي لتنمو فيه وتتكاثر ولو لم تحل منافذ مشامنا دون دخول هذا الغبار كله الى الرئتين وتمنع في دخول الذرات الكبيرة لكان تأثيرها في اجسامنا ما كان.

يتنفس الانسان في الدقيقة من ١٢ الى ١٥ مرة نحو نصف لتر من الهواء كل مرة أو اربعمائة لتر في الساعة أو من تسعة الى عشرة آلاف لتر في الاربع وعشرين ساعة . ويعرف علماء التشريح اذا عرضت على أنظارهم رئة الحضري من رئة الريفي لما في الاولى من الجراثيم المختلفة المؤذية ولولا

الغبار ماحملت الجراثيم الى جسم الانسان ولبقيت في الزوايا . فالغبار يحمل الحمى القرمزية والحميرة والسل والخناق وغيرها من الامراض . واختلف العلماء في كون هذه الجراثيم تدخل الجسم من طريق التنفس أم من طريق البلع ومهما يكن من اختلافهم فان الغبار من أشد اعداء الاجسام وافتكها بها . فحبذا لو عنيت مجالس البلديات في البلاد التي تدعي انها سائرة على مناهج المتحضرين في شؤونها البيتية والاهلية والمعاشية بأمر الكناسين ان لا يكنسوا الشوارع الا في الليل بعد إنصراف الناس الى منازلهم ولا ينفض الخدم البسط والطنافس والاثاث والحصر والباري والكلل (ناموسيات) والستائر من أعلى الشرفات والطنف فينزل الغبار على أبناء السبيل . ويكون لهم أسوأ دليل والغبار من أعداء الانسان إلا في مغزى المثل العربي القائل « غبار العمل خير من زعفران العطلة »

تدبير الصحة

الحمامات الشمسية

اوصى الدكتور كيرشبرج من أطباء فرنكفورت بأن الاستحمام بالشمس أو التضحي بالشمس في الشتاء والتعرض لها مما ينفع في بعض الآلام السرطانية . وقد جرب ذلك بنفسه فشفي من وجع أذنه بعد شهر من تعرضه لحرارة الشمس وأورد أيضاً حادثة فتاة كانت تشكو مرضاً شديداً في الحلق شفيت بحمام الشمس في الشتاء وخصوصاً في مكان مرتفع عن سطح البحر كثيراً .

الصحة الخاصة

كتب احد اساتذة العلم في معنى مبادي الصحة الخاصة التي لا يتأتى العمل بها بدون علم حفظ الصحة مقالاً جاء فيه انه اذا لم يكن للمرء دماغ طاهر لا يتسنى للجسم ان يكون خادماً نافعاً . وصلابة الجلد من الشروط الضرورية في جودة الصحة .

الصحة الاجتماعية

كتب كاتب في مجلة اقتصادية يقول : انه من اللائق توفير العناية بحفظ الصحة المادية ولكن العناية أشد لزوماً في الصحة الادبية . قال وخير الطرق لمنع هذا الفساد الذي يطرأ على الصحة منع الجرائد من تهييجها الشهوات على الانسان وكذلك الروايات القصصية والتمثيلية ومحال السماع وهي من العوامل القوية في افساد أخلاق الشبان

سير العلم

أكلة البقول

التأمت في انكلترا جمعية نسبت للدكتور هيك لاتقول الا بتناول البقول . وهي تنسب معظم الامراض الى وجود الحامض البولي في الجسم الانساني المتراكم من استعمال اللحوم . وهذه الجمعية تعتمد على طريقة العالم كوفيه القائل بأن الغذاء الطبيعي للانسان مؤلف من ثمار وجذوع ونباتات . وقد أخذ القائمون بهذا الفكر يسمون الصحاف (الصحون) في مطاعمهم باسماء اللحوم كأن يقولون صحفة من الدجاج أو الحمام أو كباب أو مشوي أو ضلع الخ دون ان تدخل هذه الاصناف الى مطاعمهم وانما هي حيلة اخترعوها ليجلبوا بها الزبن ويشيروا بها لاهل الشراهة

سماد جديد

فرحت الاندية العلمية هذه الايام بما تم على ايدي عالمين تروجيين من اكتشاف يفيد العلم والصناعة بل يفيد الفلاحة والزراعة . ألا وهو السماد الصناعي الذي كان الباحثون يفكرون في أمره منذ قرن من الزمن اذ كانوا يخشون من نفاد النيرات (البورق) الطبيعية المستعملة في تسميد الارض خشيتهم من نفاد بورق الشيلي على كثرته . ومعلوم ان النيرات تأتي النباتات على الجملة بالازوت اللازم لها وما وجد منها على سطح الارض حيواناً كان اصله أو نباتاً لايسد هذه الثلمة ولذلك يستعملون في تسميد الارض ملح النشادر ونيرات الصودا وقد توفر علماء الانكليز والالمان منذ سنة ١٧٦٤ على النظر في هذا الامر حتى وفق له المكتشفان المشار اليهما فاقاما معملا له في بلادهما . وهذا السماد يعمل من نيرات الجير (الكلس) وقد انتفع المكتشف

بالتلالات العظيمة في بلده ومنها ماتبلغ قوته ثلثمائة الف حصان . ودعاه سماد نوتودان ، نسبة للبلد المعمول فيها . وسماد هذا يعمل من الجص والهواء وفضل استعمال نيترات الجص لانها انفع للزرع من نيترات الصودا . وستقدم الشركة التي قامت باستثمار هذا الاختراع كميات منه في هذا الربيع الى جميع البلدان الزراعية التي تطلبه

تغميز القلب

للتغميز (التنويم) فوائد جزيلة ظهر بعضها مؤخراً في احدى مستشفيات انكلترا ذلك ان شيخاً مريضاً تناول جرعة عظيمة من الكلورفورم فأصيب باغماء ووقف تنفسه ونبضه فعمد الحال طبيبان من اطباء المستشفى وشرط اثر المحل الذي يسهل ان يتأثر به القلب وشرعا يغمزانه فلم يمر ستون ثانية حتى افاق المغمى عليه وأخذ القلب يضرب على عادته فعندها أوقفا التنفس الصناعي ولأما الجرح باحتياط عظيم فشفي المصاب تماماً . ويقول هذان الطبيبان ان التغميز ينفع في الاغماء لامحالة

وشي القنب

تفنن اليابان في الصناعات حتى استبدلوا وشي القنب في العهد الاخير بوشي الحرير لانه طبيعي أكثر من القنب وقد عرضوا منه في كيوتو صورة اسد ولبوة . اخترع هذا الوشي رجل اسمه سوكافارا معروف بتفننه واعماله الصناعية . ومتى انتشرت هذه الصناعية الى الغرب وجد القنب الذي ينبت في غوطة دمشق مصرفاً عظيماً .

هوام الغابات

في الصحف العلمية ان هامة من الهوام المضرة أخذت تأتي على الغابات الغناء في آكام داكوتا السوداء . وداكوتا احدى مقاطعات اميركا الشمالية . فهي تحمل على الاشجار بسرعة حتى انه يخشى ان تتحول الخراب تلك البقعة برمتها . وقد بذل اصحاب الأملاك ملايين من الدولارات بدون فائدة وقد جعلت احدى الاندية العلمية جائزة كبرى لمن يدلها على علاج شاف من حملات هذا العدو الهائل .

خازنة الكهربائية

اخترع اديسون خازنة لقوة الكهربائية « أكومولاتور » جديدة معمولة من صندوق حديد يحتوي صفائح تتبدل من معدن النيكل والحديد عوضاً عن الرصاص الذي كان يستعمل في الآلة السابقة . ويقدر ان هذه الآلة يقتصد بها ٥٨ في المئة عن الآلة القديمة ويمكن للاتوموبيل ان يسير بهذه الخزانة نحو سبع ساعات أي نحو مئتي كيلومتر دون ان يضطر الى الاملاء وبقوة دائمة

مدارس الازياء

انشأ الغربيون مدارس لكل ما يتصوره المرء من الاعمال والصناعات وقد قامت هذه الآونة آنسة من أوانس الاميركان الشهيرات تبرأ بطريقة القصيين في وصفهم ازياء النساء في قصصهم . قالت ان المرأة لو كانت خارجة الآن من مستشفى المجاذيب أو المجذوبات لما لبست الثياب التي يصفها فيها هؤلاء الكتاب ولذلك ارتأت ان يضاف الى الصفوف الكثيرة في كلية كولمبيا الخاصة بدارسة فن الصحافة صف يدرس فيه علم الازياء . والولايات المتحدة تحب ان تفوق الامم في كل حال وشان .

مثال المدارس

كتب احد اساتذة العلم في اميركا بحثاً في احدى المجلات العلمية في نيويورك قال فيه ان من أدل الدلائل على ارتقاء التعليم العام في الولايات المتحدة ارتقاء حالة مدرسة تكساس الجامعة التي أسست سنة ١٨٥٨ ولم يكن فيها منذ عشرين سنة الا ١٩٩ طالباً وفيها الآن الفا طالب ولها دخل يربو على ١ ٧٥٠ ٠٠٠ فرنك .

حاضر اليهود

كتب احد كتاب الاميركان بحثاً تحت هذا العنوان استند فيه الى أحدث الاحصائيات فكان عدد بني اسرائيل في العالم ١١ ٦١٨ ٢٢٤ نصفهم في روسيا والباقون موزعون بين النمسا والمانيا ورومانيا وانكلترا وهولاندا وتركيا وفرنسا وايطاليا وبلغاريا وبوملكي الشرقية وسويسرا وبلجيكا واليونان والولايات المتحدة وكندا والارجنتين وغيرها من جمهوريات اميركا الجنوبية وبعض ممالك آسيا وشمالي افريقية مثل مراكش

والجزائر ومصر وفي هذه منهم ٢١٤١٠٠ فقط ولم تعاملهم دولة معاملة رسمية كسائر رعاياها غير النمسا والمانيا والبلجيك والدنمرك وفرنسا وبريطانيا العظمى ومستعمراتها وايطاليا وسويسرا والولايات المتحدة اي ٤١ في المئة من مجموعهم . ومن هذا العدد عشرة في المئة اغنياء و ٣٠ في المئة فقراء وهؤلاء على فقرهم المدقع لا تراهم يسجلون اسماءهم في سائر محاويج الطوائف لأن أولئك الاغنياء يكفونهم مؤونة التكفف على غيرهم

المجلات الافرنجية والعربية

الخط الياباني

أنشأ بعض اليابانيين مجلة تعنى خاصة باستبدال الخط الروماني بالخط الياباني وبعبارة ثانية تدعو الى طرح الحروف الشرقية القديمة والاستعاضة عنها بالحروف الغربية الحديثة . وفي هذا من الثورة العلمية ما قامت له الاندية العلمية في يابان وقعدت . وأصبح لهذا الفكر أشياع ولكنهم قلائل الآن . تقول المجلة ان استعمال صور الحروف الصينية لا يعتبر الا بأنه من حب الاتصال مع الماضي كما هو الحال في امتيازات قديمة لم يتوصل بعد الى نزعها والتخلص منها . وبهذا ترى ان اليابان أقسمت أو كادت تقسم ان لا تبقي أثراً للتقاليد القديمة التي تعوق سير حضارتها .

تبادل العلم

ذكر أحدهم في مجلة المجلات الاميركية الصورة التي سيجري عليها في مبادلة العلم العالي بين كل من أميركا والمانيا على الطريقة التي عزم على الاعتماد عليها الامبراطور غليوم الثاني بالاتفاق مع مدرسة كولمبيا الجامعة . قالت ان أساتذة من هذه المدرسة يذهبون الى كلية برلين ويشتغلون مناوبة أنشئت لهم خاصة ويأتي أساتذة المان من كلية برلين يعهد اليهم بالتدريس في صفوف كثيرة من الكليات الاميركية . وغاية هذه الطريقة في مبادلة الاساتذة ان تتبادل ناشئة الامة الافكار والغايات ويتذاكروا في المبادىء والمقاصد . والمظنون ان كلا من انكلترا وفرنسا لا يلبثان ان ينحوا هذا النحو فتشترك كليات اكسفورد وكمبردج ولندن مع كلية باريز وهناك يشمر العلم بالارتقاء الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر .

التكافل في الامراض

نشرت احدى الصحف البارزية مقالا في فائدة التكافل لايقاف سير السل ومجاهدته قالت ان المسئول أحد منكوبي الوسط الاجتماعي وان مرضه ينتشر باجتماع الجرثومة مع الارض فالجرثومة تأتي من المحيط أو الوسط والارض هي جسم الانسان وصحته من أصل تركيبه أو أسباب ولادته وارثه وتربيته وسكنه . ولما هدمت في انكلترا احياء برمتها وكانت قذرة موبوءة انخفض عدد الوفيات بالسل الى ٤٠ في المئة على حين يرتفع معدل الوفيات بهذا الداء في فرنسا

الآلات المنغمة

المشرق — عني حضرة الباحث العالم صاحب هذه المجلة بنشر ثلاث مقالات عربية في الآلات المنغمة انتقاها من مجموع عثر عليه في خزانة كتب مدرسة ثلاثة اقمار في بيروت وفيه رسائل في الهندسة والفلك وتحريك الاثقال والموسيقى وغير ذلك من الآثار العلمية من وضع علماء الاسلام أو من تعريبهم وتعريب طائفة المعربين في عهد الحضارة الاسلامية ويرتقي هذا المجموع بحسب رأي الباحث المشار اليه الى القرن الثاني عشر للمسيح . وهذه الرسائل في معنى واحد لقدماء اليونان استحق كتبة العرب شكر العلماء اذ حفظوها لهم من ايدي الضياع بنقلها الى لغتهم .

اما الرسائل فاحداها عمل الآلة التي اتخذها مورسطس يذهب صوتها ستين ميلا وكانت هذه الآلة تحمل معهم في الحروب لان بلادهم كانت كثيرة الاعداء . فكانوا اذا احتاجوا أن ينذروا اصحابهم أو يسألوا المدد في الحروب لتأتيهم الخيل والمدد أو ينذروا أهل مدينة الملك واي النواحي ارادوا نفخوا في هذه الآلة وهي الارغن الكبير الملقب بالواسع الفم الجهير الصوت وذلك ان صوته يذهب ستين ميلا .

والثاني صنعة الارغن الجامع لجميع الاصوات . وهو أن يسمعك صوتاً عجيباً يبكي بكاء شديداً ويسمعك صوتاً مرقداً ينيم صاحبه على المكان ويسمعك صوتاً يشجي ويلهي ويسمعك صوتاً يطرب ويرقص ويسمعك صوتاً يسحر ويذهب بالعقل .

والثالث صنعة الجاجل الذي اذا حرك خرجت منه اصوات مختلفة شجية غنجة . وزعم الحكماء ان هذه الآلة عملها ساطس (كذا) القديم في بلاد مصر العتيقة فلما ضرب بها هرب من ذلك الموضع كل سبع وكل هوام وكل طير حتى هربت مواشيهم ودوابهم وكاد اكثرهم ان يجن فاستعفوا من ذلك . فنصبها على موضع مشرف بعيد من

المدينة جداً . وبنى في ذلك الموضع هيكلا وهو يسمى هيكل زواس اي (المشتري) ذي الجبين واتخذوا له عيداً فكانوا يحركون الجلجل في يوم عيدهم ثم يذبحون ويتقربون .

المجتمع وعلومه

المنار — ذكر ان أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة وان هذه الجنسية هي نهاية ما يمكن وضعه لسعادة البشر كلهم ولكن الناس لما يستعدوا لها تمام الاستعداد وقد وجدت في الجملة على عهد الخلفاء الراشدين وان جنسية النسب مزقت الشمل ولولا جنسية اللغة والوطن ما تفرق المسلمون الى ممالك وقد حاول الاسلام القضاء على عصبية الجنس واللغة والوطن فغيرت بعد . ومن رأيه ان يكون العمل الواجب دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً بالعقائد دافعاً للشبهات الرائجة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب مؤلفاً للرابطة الملية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر ومنافعهم في هذا الزمان (٤) تعليم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس ومجموع الأمة بالاعمال الصناعية (٥) احياء اللغة العربية بالزام المتعلمين التحاور بها استبدالا لها باللغة العامية وبتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين وخطباء مؤثرين (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة (٧) الجمع بين التعليم وبين التربية العملية في المدرس (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال في العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس

طبيب وأديب

فقدت مصر في العهد الاخير رجلين حري بتاريخ العلم والادب ان يدون ترجمتيهما في صفحاته واعني بهما الدكتور حسن باشا محمود وابراهيم بك المويلحي . الاول عالم والثاني كاتب أو طبيب وأديب . ولد الاول في مصر سنة ١٨٤٧ م على ما نقل أحد انجاله ووالده من العرب النازلين في جوار الاهرام ولما ترعرع ظهرت عليه آثار النجابة فدخل القصر العيني ونال شهادته الطبية ثم بعثت به الحكومة المصرية الى المانيا فقضى فيها سنتين ثم انتقل الى باريز واحكم الطب علماً وعملا حتى اذا عاد الى القطر عين في وظائف مهمة مثل نظارة القصر العيني وطبيب الامير طوسون باشا وطبيب الخديوي اسماعيل وابنه توفيق ومفتش الصحة العامة . وانتدبته الحكومة في عدة مهمات نائباً عنها في المؤتمرات الطبية الدولية ورأس الجمعيات الطبية في مصر مرات وكان عضواً في عدة جمعيات طبية وعضواً في المجمع العلمي بمصر .

وكان على وفرة مشاغله كبير العناية بالتأليف والتعريب حريصاً على الاستفادة والافادة أميل في اعماله الى الجد على مايظهر من تآليفه محبباً الى الناس . كتب رسائل وكتبا طبية كثيرة نشر بعضها على حدة وبعضها في المجلات . واهم كتبه « الخلاصة الطبية في الامراض الباطنية » وهو كتاب لطيف الاسلوب والوضع سهل المأخذ ومنها « رسالة في الهيضة » وأخرى « نبذة في مدرسة الطب المصرية » و« رسالة في خلع المعصم » و « كتاب في داء الفقاع » و « كتاب في الاستكشاف العصري في الرمد المصري » و « كتاب الفوائد الطبية في الامراض الجلدية » و « رسالة في منافع مياه حلوان » و « مختصر في البواسير ومعالجتها وطريقة التحدد » و « رسالة في حمى الدنج » و « رسالة في داء الطاعون البقري الساري » و « رسالة في وبا الهيضة » وغير ذلك . وظل يكتب الى آخر أيامه ولا يتكلف من نشر ما يكتبه في المجلات تعميماً للفائدة

أما ابراهيم بك المويلحي فقد ولد في أوائل سنة ١٢٦٢ هـ وهو من بيت معروف بالغنى والوجاهة اضطرته الاحوال بعد ان خسر ماله في المضاربات ان يستخدم في الوظائف على عهد الخديوي اسماعيل وكان يحبه ويأتمنه ويحسن اليه وقد قضى معه عشر سنين في نابولي كاتماً لاسراره وقضى نحو هذا الزمن في الاستانة . والذي يهمنا من أمره انه كان من أعظم النوابغ في الانشاء . وقد اكدنا من نثق بذوقه في البلاغة وعلو الكعب في الاطلاع على اسرار العربية وآدابها ان المويلحي في عصره كالجاحظ في عصره . ولا غرو فقد تأدب المقفد بكتبه وكان يحرص على دراستها والاستثمار

بدررها ليله ونهاره . كتب المترجم به عن الامراء كتباً كثيرة ومقالات بحسب الحاجة والدواعي وتلون السياسة ومذاهبها كما كتب عدة جرائد منذ أول نشأته وآخرها مصباح الشرق، ولو دام المصباح على لطافة اسلوبه وجودة الفاظه وتراكيبه سنين كثيرة لكان من أهم البواعث على ارتقاء ملكة البيان العربي ولصار العامة ممن يتوفرون على مطالعته اليوم ارقى لهجات من الخاصة منذ قرون .

وبهذا عرفت ان طريقة المويلحي في الانشاء طريقة السهل الممتنع ساعده على الاجادة فيها انه لم يكن يكتب الا في المسائل التي له وقوف على أطرافها ليكون رأساً في معانيه كما هو رأس في مبانيه . وكان مطلعاً كل الاطلاع على أحوال مصر والاستانة عارفاً تاريخ رجالهما بحيث كانت هذه المواد له على خفة روحه ورشاقة قلمه مادة واسعة ليكتب على الطريقة الهزلية المعروفة عند الافرنج بالاوميريستيك على ان معظم ما كان يكتبه يمتزج فيه الهزل بالجد . وكان مجاسه عامراً بالفوائد الادبية والتاريخية والاجتماعية نادرة النوادر في نكاته آية في الاطلاع على الدخائل . استفاد اشياعه من لسانه اكثر من استفادتهم من قلمه . ولو وجد مجالاً للعمل النافع وقدر امراء هذه الديار وكبارها ان يحسنوا الانتفاع بمواهبه كما ينتفع الملوك والامراء بنوابغ بلادهم في العادة لاشبه المويلحي بسمرك وكرسبي وغيرهما من رجال السياسة في هذا القرن ولما رغب في صرف الوقت في الجزئيات ولانصرف عنها الى الكليات لامحالة

انتقاد المقتبس

تتابعت كتب التقريظ والانتقاد علينا وها نحن نلخصها فيما يلي مكتفين بما ورد فيها من ضروب النقد . وفي مأمولنا ان نصلح مايمكن اصلاحه من وضع هذه الصحيفة وموضوعاتها على الزمن حتى يجيء منها مايفيد ويروق بعون الله وتسديده . ورجاؤنا الى من أوتوا العلم الرجيح ورزقوا ملكة النقد الصحيح ان يقبسوا المقتبس من أنوارهم كلما عن لهم ذلك . ورحم الله من أهدى الي عيوبي

ولقد اختلفت آراء المفكرين والعائبين فمن قائل باختصار مقالات المقتبس ومن قائل باشباعها وتوفية كل مبحث حقه من الشرح . كما اختلفت المذاهب في اسلوب انشائه فمن قائل انه يصعب فهمه على غير المتعلمين أو دون الرجوع الى المعاجم كما قال بعضهم ومن مصرح ان لغة المجلات ينبغي لها على كل حال ان تكون أرقى من لغة الجرائد لان قراءها من الخاصة أو ممن يدانيهم ويرى الفريق الاول انه لابأس باستعمال

ما استعمله العرب من التراكيب أيضاً ويرده بعضهم ويفنده . واعترض بعضهم على استعمال الاشارات الجديدة مثل ، ؟ . وغيرها قائلين ان ذلك لايجدر الا بكتب الاطفال والنساء واستحسنها بعضهم وأراد الاكثار منها للافهام . ورأى بعض العلماء ضبط الكلمات المبهمة . وآخذنا أحد العلماء على كوننا لم نناسب ارتقاء الصحافة العربية للشيخ محمد عبده أيام كان يحرر الوقائع المصرية ويدير المطبوعات ويحتم على الصحف ان تلتزم تصحيح عباراتها أو توقف . كما عاتبنا بعضهم على اننا لم نذكر المعلم بطرس البستاني في عداد من نهضوا بالصحافة . واستنسب بعضهم نشر رواية في كل جزء لانه يتوقف عليها لفت أنظار اكثر القراء وصرح عالم بان الروايات لايليق نشرها في المجلات العلمية التي تتوخى الجد والفائدة

وانتقدت مجلة الشتاء القراء اطراد المقتبس في اسلوبه الانشائي الجد البحت وارادته على إستعمال الهزل الادبي وقالت ان نكات الوهراني والتعاويذي لاتقوم مقام «النكتة الخفيفة» وآخذته على تجاوزه الحد في الايجاز في تلخيص مقالات الجرائد العربية وعلى ماسرى اليه من الغلط من ان سليم النقاش عم مارون النقاش هو الذي اتى بالتمثيل الى مصر . ولم تر مجلة الشتاء حكم ابن حزم جديرة بالايثار قالت ولو كانت من مأثور الكلام لابقاها ناموس بقاء الانسب في ذاكرة اهل العلم . ونقدت على المقتبس اهماله ذكر العادات الذميمة ونقائص المجتمع صراحة أو تعريضاً واطلاقه العنان لامثال « التاسل الغريب » الخ

وكتب الينا أحد علماء دمشق يقول : استغرب المحققون ذكرك قصة المتنبي في باب « التاسل الغريب » اذ لم يعلم ان للمتنبي اكثر من ولد أو ولدين على شهرة أحواله فاما بيان المأخذ واما اصلاح الغلط . واذا قرأت ترجمته الى آخرها في ابن خلكان يتضح لك ذلك باجلى برهان . ثم ان مجلتك لايليق بها ان تعدل عن جادة الجد وخلو الغرض وقتاً من الاوقات فاستعمالك الالفاظ يتنم من خلالها ريح التحريض والاستهزاء غير جائز مثل « الفقاقيع الفارغة » وما ذكرته في وصف الشعراء المحدثين عندبحثك عن دواء الارق . وياحبذا لو ضربت صفحاً عن « نفاضة الجراب » وان راقت الاكثرين لان الغاية تعليم وتهذيب وترقية عقل . قيل للامام علي كرم الله وجهه لو غيرت شيبك ياأمير المؤمنين ، فقال : الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة . وكذلك نحن الآن في دور جد وعمل لادور هزل وفكاهة ...

وصحح الناعم الجتماعي في دمشق بعض اغلاط فقال : جاء في الصحيفة ٧٤ أمطرت رماداً فانكشفت الحال مدينتان رومانيتان كانتا مدفونتين والصواب ان يقال فتحدث

للحال مدينتان رومانيتان كانتا مكتشفتين لان البركان غطى حينئذ المدينتين بالحمم والرماد ولم تكشفا الا من عهد قريب . ومنها ماجاء في الصحيفة ٨٠ خلقوا أولادكم بغير اخلاقكم والصواب لاتكرهوا اولادكم على التخلق باخلاقكم الخ . ومنها في صحيفة ٧٨ الانجيل والمكتبات والنصارى يقولون الانجيل والرسائل . ومنها في صحيفة ١١٠ التخبيز والصواب التمييز

ونختم هذا الفصل بقطعة من رسالة لصديقنا الامير شكيب ارسلان قصد فيها الدعابة الادبية واعتذر ان لم في فرصة اخرى بما نجود به قرائح المفكرين . من نقد هفواتنا قال الامير سامحه الله : وانت في نفسك انشراحاً ونشاطاً، وقلة في كبة السوداء وانحطاطاً، يدل على ذلك في مجالتك فكاهات رويتها، ومداعبات اثرتها، واسجاع ملت اليها، متى كنت يامحمد مولعاً بالسجع عهدي بك لاتطيقه واذا مررت بالجناس ولو تمثل لك واقفاً رفسته برجلك واكبته لوجهه . وطالما نقمت علينا التسجيع، واقمت علينا من النكير بمدادنواع البديع، وعددت سجع الحمام، من قبيل نجع الحمام، واعتبرت نفائس الجناس ، من وساوس الخناس ، فها انا ذا اسجع الآن ولا حرج علي منك ولا تثريب، واجنس وانت ساكت ساكن وهذا أمر غريب، فهل هداك الله الى الصواب الآن حتى صرت في « مذاهب المذاهب وطرق الطرق » أو هل نزغت بك نزعات جداد ، وجدت بك أهواء لم تكن تعتاد ، أو لعلك حصرت السجع والجناس في فاتحة المجلة لانها من المجلة كقاعة الاستقبال من البيت فلا بد فيها من مراعاة الامور الرسمية والسجع رسمي في المقدمات . . ولا عيب في هذه المقدمة الا هذا السمدان الذي في آخرها . لا تؤاخذني بالله عليك لي عندك ثارات ، ويصدري من « حماطة الجلجلان » حزازات ، وانت منصف فلا يذهبني ان يثقل عليك الحق كما يثقل على غيرك . . . أما ماستعظمت من روايات التناسل حتى تجاوزت الحد في الاحتراز في نقله فليس بتلك الدرجة فان الأمثال كثيرة والمرحوم الحاج حسن عبدالله من خيام مرجعيون وعسى ان لا اكون « شرقياً في كثرة الارقام » كان له من الولد وولد الولد مايربو على التسعين وهو والد محمد افندي الحاج حسن الشاعر الاديب . اما نصائح ابن حزم فقد ذكرتني بحكم ابن النقيع وان كان لاينكر ان هذا أعلى طبقة في الكتابة واما تكلت الوهراني فلا بأس بها لكن ياأخي سألت الله لمجلتك ان يدفع عنها آفات التطويل والتكرار ، وانت لم تقصر في تكرار ذكر الشعير مع الاشعار، ففي كتاب الوهراني الذي يخشى من وهر لسانه طلب للشعير مطول برسم البغلة وفي قصيدة التعاويذي اعاذنا الله من مثله كلام عن الشعير لاجل الفرس فيها كثير على الشعير . . .